رواية

رُبمَا يومًا مَا

مذكرات حياة دكتور

قصة حقيقية من صعيد مصر

شخصية عامة

بقلم:

سارة عادل محمود

مؤسسة روائع للثقافة والفنون والنشر

الطبعة الأولى 2021

روائع

00201064655421

00201140178144

رقم الإيداع: 21344 / 2021

الترقيم الدولي: 8 - 06 - 6919 - 977 - 978

غلاف وإخراج:

أحمد الطناني

الإهداء

أهدي سطور هذه الرواية إلى
قلمي الذي أتقن وأبدع في
كتابتها ليس تكبرا وإنما
تكريما لما احتوت من مشاعر

المؤلفة

تنويه

رواية ربما يوما ما، قصة حقيقية من صعيد مصر، عروس الصعيد (المنيا)، تم تغيير أسماء الشخصيات

وتم إضافة مواقف ووصف من نسيج خيالي حتى تكتمل صورة الرواية.

المؤلفة

مقدمة

بعد ما تركته وخرجت، ظل يفكر بما قالته له: أنت خدعتني، دائما توعد وتخلف وعودك، أنت شخص غير موثوق به، أنت لم ولن تحبني، فقط عرضت عليَّ الزواج بدافع الشفقة كم أحتقرك، وخرجت.

جلس على مقعده أمام مكتبه، وأسند ذراعيه على المكتب، وزفر بقوة ثم أسند رأسه إلى المقعد مناديا سكرتيرته: سماح أريد فنجان القهوة، سماح: حاضر دكتور، ثم عاد إلى ذكرياته معها كان هذا الموقف منذ شهرين.

تبسم قائلا: إنها مصيبتي التي أهداني إياها القدر، لا أعرف، فأنا أعشقها

وأعرف أنها لا تتنفس بدوني، تشعر باختناق عندما

لا تراني، كما أشعر أنا باختناق عندما أمكث في منزلي.

قرعت سماح الباب ودلفت نفسها إلى الداخل وقدمت له القهوة قائلة: تفضل دكتور، الدكتور يوسف: هل جاءت مدام رجاء اليوم لعمل جلسة العلاج الطبيعي؟، سماح: نعم لقد جاءت وجاء أبونا أيضا أجلسته على الجهاز نصف ساعة على ألم ظهره، دكتور يوسف: جيد، يمكنك أن تذهبي فقد تأخر الوقت، سماح: حسنا، وخرجت عائدة إلى المنزل بعد أن لملمت أشياءها المبعثرة.

لم يستطع الدكتور يوسف أن يفهم شخصية راحيل، هو يفهم أنها تحبه لكنه لا يعرف أنها تجد فيه نفسها، أنه يمنحها الثقة بالنفس، أنها تنظر إلى صورته لتبدأ يومها بنشاط، تنظر إلى آخر ظهور له

في مواقع التواصل الاجتماعي لمجرد الاطمئنان عليه، يتعامل معها كامرأة ناضجة، تجد فيه شخصية متميزة مرحا، ذكيا. إنه في أواخر الأربعينيات، ضخم البنية ذو شعر رمادي، ذو شخصية غامضة، مراوغ، أخذ شهادات كثيرة من روسيا وأوروبا، ووصل لقمة النجاح في عمله، ولكنه لم ينسَ حبه لنفسه، فقد كان يدلل نفسه ويقيم علاقات كثيرة، ليس حبا في الشهوة، والجنس، لا فهو متزوج من امرأة جميلة ذات خلق، وإنما يقوم بعمل علاقات ليثبت لنفسه أنه يستطيع أن يملك قلوب النساء ولا امرأة امتلكت قلبه، كانت مجنونته تعرف ذلك ولكنها على أمل أنه سيتغير.

فهي منذ سنوات انتحلت شخصية امرأة لبنانية، وكانت تحادثه فسألته: هل أحببت يوما؟، فأجابها:

لم أجد من تستحق قلبي فكانت صدمة أخرى لها.

على رغم من أنها تحبه، وترى في عينيه ذلك الحب عندما تصرخ فيه، وتعنفه كثيرا بأقسى الكلمات، وهو يتجاوز عنها ويسامحها، إلا أنها تكره الغموض الذي يخرس لسانه، تكره تكبره رغم أنه متواضع في التعامل مع الناس، إلا أنه لا يقبل عزيمة أحد، ولا يخرج مع أحد أيًا كان في الأماكن العامة، لديه هوس الخوف على سمعته.

نعم يخاف على سمعته حد التقديس، وكأنها ترانيم مقدسة من إنجيل لوقا تتلى بعيد الفصح.

فهو مسيحي مؤمن، موحد، لديها شعور دائم أنه يخفي عنها شيئا ما، شيء تنتظر أن يقرع بابها كما تقرع أجراس الكنائس.

زوجته مريم تعشقه بجنون، امرأة ناضجة مؤمنة،

تحملت على عاتقها مسئولية أعباء المنزل وتربية الأولاد وواجباتها تجاهه، ولكنه مهمل لها يتظاهر أنه يهتم بها وبأولاده يخرجون سويا بكل المناسبات، والرحلات إلا أنه غائب عنهم حتى بصورهم العائلية تشعر أنه بعيد عنهم.

أو ربما راحيل كانت تشعر بذلك، لديه طفلان جوزيف، وميار.

هو من عائلة بسيطة من عروس الصعيد المصري (المنيا) هو ثالث أشقائه، والده موظف، ووالدته ربة منزل.

عاش حياة فقيرة بسيطة، والده كان حنونا قريبا منه، أو ربما قاسيا يضربه، فالدكتور يوسف كتوم جدا لا يحكي كثيرا عن ماضيه.

عاد إلى واقعه ما زال رافضا أن يتركها لكنه عاجز

عن الحراك، لا يتحرك خطوة واحـدة، متجمدا كتجمد الجليد في شريان نهر جارٍ، في كثير من الأوقات تتمنى لو تستطيع قتله فعليا، أو تكره لكن شيئا ما يستوقف راحيل حول الدكتور يوسف، لا تعلم ما هو.

تشعر أنه يحبها وبالوقت ذاته تشعر أنه لا ينظر إليها أنها لا شيء بالنسبة له،

إنه شخصية غريبة متناقضة تماما، متواضع، ومتكبر، كريم، وبخيل، متسامح ولئيم، آه إنه بخيل بكل معاني البخل ليس بالمال بل بالتعبير عن المشاعر والكتابة، في بعض الأوقات تتمنى أن تلقي بجبل الهملايا على رأسه لأنه يستقبل رسائلها ولا يلقي لها بالا.

صفة اللامبالاة طاغية عليه كما طغى طوفان نوح

على الأرض ليغرق من في الأرض جميعا إلا من رحم ربي.

يحب كلامها ضحكاتها، طفولتها البسيطة، ويحب طموحها الجامح.

دكتور يوسف يحب عمله كثيرا، ومخلص في عمله، متطور ناجح ومتجدد في عمله، تجد عنده كل جديد في مجال العلاج الذي يقدمه.

نظر إلى ساعة يده قائلا: يجب أن أذهب الآن فغدا أسافر فجرا، وعيد الفطر على الأبواب، لملم أشياءه وذهب أقفل العيادة وركب سيارته الفارهة جالسا على المقعد خلف عجلة القيادة، وانطلق إلى المنزل.

كانت الساعة العاشرة مساء حين كانت مريم تقوم بتوضيب حقيبة سفر زوجها يوسف، الذي أهملها

كثيرا في السنوات الأخيرة لكثرة انشغالاته، لم تدرِ بالوقت إلا وهو أمامها يسألها: هل نام الأولاد؟، مريم: نعم، هل أحضر لك العشاء؟، الدكتور يوسف: لا لقد تناولت وجبة خفيفة في العيادة، سآخذ حماما ساخنا وأنام، مريم وهي تشعر بحزن داخلي: حسنا.

أدلف نفسه داخل الحمام وترك الماء الساخن ينصب على جسده لعله يمحوها من ذاكرته، لا يزال رأسه يدور حول عمله، وحرية السفر دون قيود، خرج واستلقى على سريره ونام.

مر الليل معاتبا يوسف على جموده، ليس له عزيز أو غالٍ، سوى اثنين عمله وسمعته اللذين كدح كدحا حتى يصنعهما وكأنهما قديسان في كنيسة روما الإيطالية.

مر الوقت ورن المنبه، استيقظ الدكتور يوسف

هو وزوجته مريم اغتسل وارتدى بدلة رمادية اللون بربطة عنق سوداء، احتسى قهوته، أخذ حقيبته وقبّل طفليه وخرج.

استقل سيارة أجرة وركب بها منطلقا إلى المطار، وما هي إلا ساعة حتى توقفت السيارة أمام المطار، ترجل من السيارة بعد أن دفع الأجرة، ودخل المطار تقدم لعمل الإجراءات المطلوبة وجلس على أحد المقاعد في ردهة الانتظار.

بضع دقائق، جاءت الطائرة، نظر إليها قائلا: الرب يسعدني دائما أمين، ابتسامة ارتسمت على قلبه قبل شفتيه وهو يضع رجله على أول سلم الطائرة، جلس في مقعده المخصص، وأقلعت الطائرة بعد أن جلس الركاب في مقاعدهم.

مر الوقت وهو يفكر في أشياء كثيرة مبعثرة، كبعثرة

أوراق الخريف عند تساقطها على الأرض، إلا ورقة وحيدة حزينة لم يفكر بها هي راحيل.

وصلت الطائرة مطار نيويورك مدينة الحرية وتحرر من القيود، القيود الدينية، أو الفكرية، أو الروحية، أو الأخلاقية، كان ذلك يوم عيد الفطر.

استلم حقيبته وخرج من المطار مستقلا سيارة أجرة التي انطلقت به إلى الفندق، وفي الطريق أخذ يتأمل الأبراج الشاهقة، وتمثال الحرية، الشوارع الواسعة، كل شيء يدل على المدنية والتطور والتقدم.

راح يحاكي نفسه انتصرت على الفقر، والجهل، والتخلف العقائدي، توقفت السيارة أمام الفندق المطلوب، ترجل دكتور يوسف بعد أن دفع الأجرة، وانطلقت السيارة في سبيلها، ودخل دكتور يوسف إلى الفندق متوجها نحو الاستقبال قائلا للموظف:

هناك غرفة محجوزة باسم دكتور يوسف؟، الموظف: نعم سيدي وأعطاه المفتاح، أمر النادل أن يأخذ حقيبته، فرافقه النادل إلى الغرفة، وانصرف بعد أن شكره دكتور يوسف الذي استلقى على السرير غارقا في جنون التطور وشهوة الارتقاء حتى نام.

وفي المساء في تمام العاشرة كان الدكتور يوسف قد استقر في بار الفندق، بعد أن أخذ جولة سريعة وخجولة في شوارع نيويورك، يحتسي مشروبه المفضل ويشاهد تلك الشقراء الحسناء التي ترقص كشيطان يغويك في بحر العطش ولكن للأسف دكتور يوسف بصلابة الجليد.

رن هاتفه برسالة نصية مفادها:

عيد فطر سعيد دكتوري الغالي راحيل.

الفصل الأول:
ولادته ونشأته

في محافظة المنيا في شارع صغير ومنزل بسيط كبقية المنازل آنذاك، ولد الدكتور يوسف جرجس في الأول من يوليو سنة 1972م، صباح يوم الثلاثاء، في منزل والده، ومثل أي تكافل اجتماعي توافدت النساء لمساعدة إليصبرت ـ والدة يوسف ـ على الـولادة، فقد كان مجتمعا بسيطا، النساء تولد أطفالها في المنازل.

آه، تأوهت إليصبرت ألما من ولادتها، بينما قالت

ليزا: تنفسي يا إليصبرت لم يبقَ سوى القليل، بينما ظلت تعافر وتدعو بسرها: ساعدني أيها الرب، أيتها العذراء أمديني بالقوة، وأخيرا سمع الجميع صراخ الوليد وعلت الزغاريد والتبريكات، الرب يحميه، الرب يرعاه، طار جرجس فرحا برؤية الوليد، فحمله من حضن والدته قائلا: الـرب يحميك، وعمده بإصبعه، قائلا: أسميك يوسف.

وفي المساء المبتسم بفرحة الوليد، جلس جرجس إلى جانب إليصبرت، وابنه يوسف النائم كالملاك قائلا: حمدا للرب لدينا ثلاثة أولاد أرول، وإليا، ويوسف كم أتمنى أن يرزقنا الرب بفتاة أسميها حنا، ابتسمت إليصبرت بوجه حانٍ قائلة: إنها مشيئة الرب هيا لننام فغدا تأتي والدتك وتعطينا التبريكات، جرجس: هيا تصبحين على خير، وناما.

وفي صباح اليوم التالي، أشرقت الشمس مبتسمة فرحة، بأصوات الزغاريد العالية، فقد قدمت والدة جرجس لتعيش في بيت ابنها جرجس، وتفرح بقدوم حفيدها يوسف الذي ما إن رأته حتى طار قلبها رقصا، منحته هو ووالدته التبريكات، ثم جلس الجميع ليتناولوا طعام الإفطار.

كان طعام الإفطار الفطير الصعيدي الخالي من البيض، والعسل وجبتهم المفضلة في الصيام، قد اقترب عيد الفصح بعد أسبوع، ولدينا يوسف سوف نختنه بالعيد ونعمده ليعطينا الأب بركته قالتها الجدة بوجه مشع بالرضى، جرجس: فرحتنا فرحتان هذا العام، ابتسم الجميع.

مر الأسبوع كمرور سحابة بيضاء في سماء زرقاء، صافية نقية كنقاء عروس خجول بفستانها الأبيض

المزخرف بحبات اللولي.

جاء عيد الفصح (القيامة) تجهز الجميع وارتدوا ملابس العيد، حتى يوسف الصغير ألبسته والدته ملابس العيد، وتوجهوا إلى الكنيسة لعمل قداس، ففي عقيدتهم في القداس يأكلون لحم جسد المسيح (لقيمات من العجين) ويشربون دم المسيح (الشراب الأحمر).

أكملوا القداس وذهب الناس، تقدم جرجس حاملا يوسف إلى الأب فمنحه تبريكاته، وعمده وغسله بالماء المقدس، وأذن لهم بالذهاب.

رجعت عائلة جرجس إلى منزلهم، والسعادة تغمرهم، فالكل يستعد للعشاء المكون من: الأرز والدجاج ، أو اللحم، إنه العيد فوداعا للبقوليات.

اجتمعت العائلة حول طعام العشاء، وقرأ الجميع

صلاة الشكر، وتناولوا العشاء.

لم يكن العشاء الأخير، بل كان عشاء بميلاد من حرر الإنسان من القيود الفكرية.

مرت الأيام والشهور، حتى بلغ يوسف ما يقارب السنتين؛ حيث كانت إليصبرت حاملا بجنينها الرابع، كانت أشهر حملها صعبة جدا، فواجباتها الزوجية، والدينية، ووجباتها تجاه ولديها الكبيرين، ويوسف ما زال صغيرا، ومشقة الحمل كل ذلك زادها تعبا.

أما يوسف كان يتمتع بحب جدته، فكانت تهتم به كثيرا، وتعطيه من الحنان ما يكفيه، جرجس الأب الذي يشقى ويتعب لأجل أولاده وزوجته ووالدته، لا يريدهم أن يشعروا بالنقص.

صورة لحياة يومية روتين، ملل، لم يكن بحسبانهم

أن ذلك الوليد سيغير الاتجاهات الفكرية، والدينية ربما يوما ما.

تسعة أشهر تركض خلف بعض وكأنها في سباق ماراثون، دعوات ترتفع إلى السماء، ومناجاة الرب (في لغتهم)، بشرى تأتي ودمعة تذهب وتأوهات مؤلمة تطلق، فتعصر قلب الحزين، ذلك الوحيد الغريب في دنيا الخيال، عالم يعج بالأحداث هنا وهناك، فقر، ويسر، كفاح ونضال، جد واجتهاد، دمعة وبسمة، ها قد جاءها المخاض تصرخ بأعلى صوتها، أرول وإليا خرجا، جرجس يجول في الغرفة المجاورة يمشي ذهابا وإيابا، كالأسد المتعطش الذي يتضور جوعا، وها هو يوسف يختبئ خلف جدته سادا أذنيه يبكي، صرخت إليصبرت آخر صرخاتها ومن تم سمع الجميع بكاء الصغير، علت

الزغاريد وهرع جرجس إليها قائلا: حنا.

حنا هي آخر أبناء جرجس وإليصبرت، فقد قررا أن يكرسا جهدهما في تربية الأربعة، تربية صالحة يفخروا بهم.

تمر أيام وأعوام يكبر الأولاد، وحان موعد دخول يوسف المدرسة، وذهب به والـده إلى المدرسة كانت فرحتهم به لا توصف، كانا يريا فيه الأمل، الشفاء، والحياة،

يوسف كان ذكيا ذو طموح جامح يريد كل شيء، ويفعل ما يريد، لا شيء يستوقف طموحه أبدا مهما كان العائق أمامه.

ملابسه النظيفة، مصروفه اليومي يصله كل ليلة، أما الصباح فكان يأخذ من جدته الخبز بالزبدة أو السمن.

شيء ما يدفعه ليغير هذا الواقع، على رغم من حبه الكبير لعائلته ووالديه، إلا أن هناك شيئا بداخله يخبره أنه يستحق حياة أفضل من هذه، حياة ليس بها ضعف أو نقص أو فقر أو حرمان.

فالحياة في الريف تختلف عن المدينة والحضر، هنا الأفكار محدودة جدا ناس بسطاء ، أين التطور؟، أين المدنية؟، شيء ما يصرخ بداخله قائلا: سأكافح لأخرج إلى هناك حيث الحرية، أفكار كثيرة وأحلام كبيرة تداهم عقله الصغير.

كان يحب أخوته بالأخص حنا أخته الصغرى، كان عذابه أن يشاهد شخص يتألم، لهذا اختار أن يكون طبيبا ليخفف من الآم الناس، فبدأ يضع هذا الهدف أمام عينيه، وأكمل يوسف الابتدائية.

بدأت لعبة مرحلة الإعدادية، وبدأ جموح طموحه

يكبر، وحتى يرضي نفسه ولا يضغط على والداه، قرر أن يعمل، فعمل نجارا، رغم معارضة والده جرجس الذي سأله قائلا: هل قصرت معك بشيء يا بني؟، يوسف: لا يا أبي ولكني أريد أن أكون رجلا، نظر جرجس لابنه بفخر قائلا: ستصبح عظيما ذا شأن، فنظر يوسف لوالده بفخر وذهب، تنهد جرجس بارتياح قائلا: حماك الرب يا بني، دون أن يعرف أن ابنه سيكبر ليكون كاذبا متعدد العلاقات ويكسر قلب أحبه وينتصر للحرية.

لم ينشأ يوسف كما رباه والده على العادات والتقاليد في صعيد مصر، فقد بدأ يتحرر، ويخرج من محافظته، في الإجازات تحديدا إلى الإسكندرية، وهناك بدأ بالعلاقات الهاتفية، وعندما يعود إلى محافظته ينسى كل شيء.

يوسف في العشريات من العمر، كانت المرأة المقدسة هي والدته وأخته، وجدته، فقط وبقية النساء كن لا قيمة لهن عنده، ومن جانب آخر تجده يحب الناس ويحترمهم شخصية غريبة ومتناقضة، حتى في دينه يحب المسيحية، ويحترم الإسلام.

يحب تجربة كل شيء حتى صلاة المسلمين، ففي أحد الأيام دلف أحد زملائه نفسه إلى المسجد فدلف يوسف خلفه وصلى كتجربة فقط لا أكثر، فلن يفوت أي شيء في الحياة دون أن يجربه.

أكمل يوسف مرحلة الإعدادية، وبدأت أفكاره تنضج تتحرر أكثر وأكثر، وبدأت شخصيته تتمرد عليه أكثر من قبل.

في مساء عدى وولى كباقي الأيام المملة، فها هو الصيف قد أتى، وعيد الميلاد اقترب خمسة أشهر

ويحل، كان جالسا على سريره، ساندا رأسه على الحائط، تذكر منذ شهرين جاء الدكتور عماد إلى البلدة، كيف حظي بمكانة واحترام كبيرين، قائلا لنفسه: أريد أن أصل إلى هذه المكانة المرموقة، ثم رجع بذاكرته إلى الوراء عندما كان بالعاشرة من عمره كان يرى أولاد العمدة يذهبون إلى مدارسهم بسيارة والدهم، أما هو فيمشي على قدميه أو يركب وسيلة مواصلات بسيطة، لم يكن يهتم بالمال فهو آخر همه، بل انصب كل اهتمامه ببناء سمعة ومكانة، ومستعد أن يقتل من حاول لمسهما.

صعيد مصر وعروسها المنيا، الحياة البسيطة، سماحة الناس وقربهم من القلوب، ناس طيبة مثل بلادهم الطيبة، كثمرة طيبة هزتها العذراء بأمر من الرب، فشبعت وقرت عينها.

نادت إليصبرت يوسف قائلة: بني تعال العشاء جاهز، يوسف: قادم أمي، نهض يوسف من سريره، وذهب وجلس بجانب أرول، وقرأ الجميع صلاة الشكر، تطرق الأب جرجس قائلا: لقد كبرت يا يوسف، ولم تكشف عن نيتك في دخول أي جامعة؟، يوسف: أنا أبذل جهدي لأنال شهادة الثانوية، وسأتقدم لجامعة القاهرة، إليصبرت: عافاك الرب وحماك بني، أرول: أي تخصص؟، يوسف: علاج طبيعي وتأهيل، إليا: ولكنه صعب، لماذا هذا التخصص بذات؟، يوسف: لأني أكره أن أرى أحد يتألم أو يتعذب، لا أحب أن أرى أحدا مريضا، جرجس مبتسما بفخر: بارك الرب فيك بني، والآن لنأكل، الجميع: باسم الرب الواحد، شكرا أنك رزقتنا أمين.

وشرع الجميع بتناول العشاء كان عبارة عن فول مدمس وبعض الخس والسلطات وبعض الأرغفة، هذا ما يفرضه عليهم الصيام.

بعد الانتهاء من تناول الطعام جلس الجميع يحتسون الشاي، ففتحت حنا كتابا ما وقرأته، فصرخت والدتها إليصبرت قائلة: كم مرة قلت لك إن هذا الكتاب لا يجوز لك قرأته إلا عند بلوغك.

تجمدت حنا، وجحظت عيناها معتذرة: آسفة لم أقصد، جرجس: هون عليك يا إليصبرت، لم تقصد حنا ذلك، هيا لننام، وقام الجميع.

إلا أن يوسف كان يعلم ما وراء هذا التحريم، وما هو السبب؟، لكنه لن يفصح ليهدأ فضول أخته الذي يكاد يقتلها.

هكذا كان يوسف، يفضل السكوت فقط السكوت،

شخصية متناقضة في الأفكار، الحرية، وتقاليد الصعيد، التقيد الديني، وتحرر الفكري، شخصية غربية، الانغلاق الشرقي، والانفتاح الغربي، هذا هو يوسف جرجس الذي حفر بالصخر ليصل إلى النجاح.

صراخ يدور في رأسه لن أعيش في هذا المجتمع، سأنجح سأصل، يجب أن أكون عالما بكل شيء، وأطوف العالم، لأتحرر من قيود روحي وأفكاري، وتبقى قيود المظاهر.

عاد بذاكرته إلى الحاضر، وأسند ذراعيه على كتاب الكيمياء قائلا لنفسه: يجب أن أحصل على درجات تجعلني أستطيع أن أدخل جامعة القاهرة، سأحصل على منالي، ليساعدني الرب، ثم ابتسم ساخرا لتساعدني نفسي.

لا يهم يوسف شيئا في الحياة غير أن يكون كبيرا بأعين الناس، ويبني سمعة كالجبل لا يهزها زلزال ولا طوفان، ويكون له مكانة على رغم من افتخاره أنه صعيدي، ويحب أن يتعامل مع البسطاء قبل الأثرياء، لكنه يريد نفسه كبيرا في كل شيء تطغى عليه اللامبالاة لآراء الآخرين، ويرى نفسه طاووسا.

هنا نجد تناقضات كثيرة في شخصيته يكره واقعه ويحبه، ويحب التغير ويكرهه.

تمر الأيام كنواقيس تقرع للصلاة في الكنائس، ليبدأ امتحان الثانوية العامة، ويدخل الامتحان كمتسابق في الماراثون، ليجري القلم بيده كسلسبيل، أو كشلال يجرف الأحـرف جرف السيل، ليكتب الإجابات بدقة متقنة، زملاؤه ينادوه من الخلف: ساعدنا، يوسف ساعدنا، ولكنه لم يبالِ عمَّ الصمم

أذنيه، لا شيء سيستوقفه أمام النجاح.

عاد يوسف إلى منزله في آخر امتحان، كمحارب منتصر، قاتل بسيفه ببسالة حتى آخر قطرة من دمه، فانتصر واستلذ بطعم النصر، كما يستلذ الأسد بطعم فريسته ويزأر لذلك الانتصار.

جلس يوسف على المقعد بجانب والده، فالتفت إليه والده وقد لمعت عيناه لمشاهده ابنه وهو جالس كالطاووس، أو كملك روماني زين تاج الذهب رأسه.

تطرق جرجس قائلا: كيف ترى نفسك؟، هل ستحصل على ما يدخلك التخصص الذي أردت؟، يوسف بكل ثقة وفخر، أقسمت بالرب في طفولتي أن لا أقع في حفرة ليمد الناس أيديهم لمساعدتي، لا شيء سيذلني بعد الآن.

رمى الأخير كلمته، ومد يده ليتناول كوبا من الشاي الذي أحضرته والدته إليصبرت وهي تقول: حماك الرب يا بني وأعطاك ما تتمناه، ضيق جرجس عيناه بتوجس شديد، مكتشفا أن ابنه يتظاهر بالبساطة والتدين، لكنه يخفي خلف ذلك الكثير من الأقنعة.

تمر الأيام، كانطلاق السهم من القوس ليصيب ذلك الفارس النبيل، ظهرت نتيجة امتحان الثانوية وبكل ثقة وفخر أخذ يوسف شهادته، وابتسم ساخرا وقال لنفسه: كنت أعلم أني سأحقق حلمي.

عاد يوسف إلى منزله، فرحا منتصرا، وفرحت عائلته أشد من فرح الأم بوليدها، تطرق إليا قائلا: هل ستسافر إلى القاهرة؟، يوسف: بالطبع يا إليا، حنا: أين ستمكث، يوسف: في منزل الطلاب يا حنا، تطرقت إليصبرت قائلة بقلق لجرجس: هل ستدعه

يعيش بعيدا عنا؟، جرجس مبتسما من سخرية القدر: لقد كبر يوسف بما يكفي ليعيش الحرية التي أرادها.

جهز يوسف أوراقه، وحقيبة سفره وركب القطار وسافر إلى القاهرة، تلك المدينة التي تميزت بصخب الحياة، والحرية وتحرر الأفكار، مدينة العشق والذوق والجمال، وما أن وضع قدميه على أرض القاهرة حتى صرخ عقله قائلا: ها قد بدأت الحرية، وبدأت أنا.

الفصل الثاني

شبابه ودخوله الجامعة

استقر يوسف في منزل الطلاب، كانت نظرات الإعجاب تتوجه إليه، سواء في المنزل أو في الجامعة، التف حوله الأصدقاء مناصرين لأفكاره، فذلك الشاب الريفي الذي جاء من الصعيد، يتصرف بكل ذوق وكأنه جاء من أوروبا أو تربى في باريس، فهو شاب طويل القامة، عريض المنكبين كثيف الشعر، ذو عينين منسابتين أبيض اللون منتفخ الخدين، يحظى بإعجاب وحب البنات، ولكن قلبه ما زال

متجمدا كالثلج المتحجر، لن يلينه شيء حتى نار جهنم.

بعد قبوله في الجامعة، فكر بجدية أن تكون أفكاره التحررية بكفة، ونجاحه بكفة، لا بل صرخ عقله: لن تعتمد على مصروف والدك، بل سوف تعمل وتدرس لتحقق ذاتك نعم ذاتك أنت يوسف.

والجدير بالذكر هنا أن زملاءه ساندوه بأفكاره التحررية، دون خوض معركة.

دكتور فوزي محاضر في الجامعة أيضا، ولديه عيادة صغيرة قريبة من الحرم الجامعي أيضا، بعد إكماله المحاضرة، خرج جميع الطلاب، عدا يوسف الذي تقدم بكل ثقة وفخر وأدب قائلا: دكتور فوزي هل يمكنني أن أطلب طلبا صغيرا؟، دكتور فوزي: بالطبع، يوسف: أريد أن أعمل معك، دكتور فوزي:

أنت شاب طموح وذكي إذا كنت قادرا أن توفق بين العمل والدراسة فأنا أنتظرك غدا بعد الظهر، يوسف: شكرا دكتور، وخرج.

خرج ذلك الطاووس وقد حقق ما يريد، حقق ذاته، لن يفشل بالدراسة، ويعمل في آنٍ واحد، يسابق الزمن، ويتحدى الدقائق، ويدلل نفسه شخصية غريبة ونادرة.

زفر بتأفف منها وهي بجانبه قائلا: لماذا تبكي؟، أنتِ من أراد ذلك طيلة الفصل الدراسي الأول، وها أنا الآن نفذت طلبك فلماذا البكاء؟، ثم داعب خصلات شعرها هامسا أنا أمتلك فقط ولا أحد يمتلكني، غدا نتيجة الامتحانات ولـدي عملي سأذهب، وإياك أن تتكلمي عني فأنا الدكتور يوسف وخرج.

ركب السيارة – التي اشتراها بعد أربعة أشهر من العمل بالقسط – وجلس على المقعد خلف عجلة القيادة، أسند رأسه إلى الخلف على المقعد، قائلا لنفسه: ها قد سقط حبك لي يا روز، منذ الوهلة الأولى بعت نفسك لي، ربما كنت لا تستحقين حبي أما الآن فلا تستحقين حتى حمل اسمي وشرفي، جميعكن سواء، ثم أدار عجلة السيارة وذهب.

لملمت روز بعثرتها كآخر زخة مطر باكية منكسرة، لم تكن منكسرة من فعل الخطيئة فاعترافها للأب سيجبر ذلك الكسر الذي سببه رجل متجمد ككتلة جليد، تبتت بقلائد من حديد أعلى قمة جبل، لا بل كان انكسارها في قلبها المجروح، الذي أمطر دما، دخلت حيث يجلس رفيقها بيتر، تجر خلفها هزائم معركتها، مشتعلة ككتلة نار أوقدت من

جحيم السماء.

بيتر سائلا: ما بكِ؟، روز بشرود غاضب: رفض حبي، بيتر ساخرا: وما الجديد يا روز؟، هذا هو يوسف جميعنا نعرفه لا يعشق إلا قسيسين سمعته ونجاحه، لا تتوقعي منه شيئا يا روز ولا تنسي أنه صعيدي لن يلتفت لامرأة مثلكِ، تزوجي مايكل فهو يحبكِ كثيرا، وقد غفر لكِ علاقاتكِ، أجهشت روز ببكاء مرير مستسلمة للقدر.

دلف يوسف نفسه إلى غرفته في منزل الطلاب، وجلس على سريره، تطرق كيراس قائلا: ما بك؟، يوسف: لا شيء، كيراس: وجدت عملا في مستشفى قريب من هنا وبمرتب ضعف ما نأخذه عند الدكتور فوزي، يوسف بجدية: حسنا، نرى نتيجة الغد ثم نتخذ القرار، ومن ثم أمسك بالكتب قائلا: يجب

أن أشربها كشرب النبيذ، تصبح على خير ونام غير مبالٍ بأي شيء حدث.

كانت هذه العلاقة الحميمية هي الأولى بالنسبة ليوسف ولم تكن الأخيرة، ولم تهز شعرة من رأس يوسف بل زادته قوة وصلابة وتجمد، لنقف عند كلمة تجمد، فالتجمد هنا أعني به تجمد إحساس الحب فهو لا طريق لقلبه ولا مفتاح له فقد قتل ذلك الإحساس الجميل منذ طفولته، فقد أقسم بالرب أن لا تلمس قلبه امرأة أيا كانت مكانتها، فلن تتملكه امرأة، حتى يجد من تستحقه، قائلا لنفسه: أريد امرأة نقية كنقاء نهر السلسبيل الذي يجري في شريان ثلج أبيض نقي، أو كنور شمس يسطع لينير العالم، فيحجب الناس أعينهم من قوة ذلك النور، أو كسماء زرقاء صافية من شدة صفائها، ينعكس صفاؤها على

مرآة الحياة الدخانية.

امـرأة ليست كسائر النساء، امـرأة نعم ولكنها استثنائية.

كانت الساعة العاشرة حين تعلقت الشمس وسط السماء الخجول، كما سطع نور يوسف فهو النور الذي رفع اسم بلده إلى العالم.

كان متكئا بظهره على الحائط بكل فخر، واثقا، لا يبالي، ابتسامة طيبة ظاهرها وباطنها سخرية، بينما ذهب كيراس ليرى النتيجة، زفر يوسف من تأخر كيراس، فهو يكره الانتظار، سمع ضجيجا هناك، وتجمع الطلاب والطالبات، فاقترب منهم، فإذا بروز ومايكل وبيتر يقومون بتوزيع بطاقات دعوة، فاختطف واحدة من يد روز قائلا وهو مبتسما: هذه لي، تجمدت عينا روز كالجمر، بينما حاول بيتر

تهدئتها حتى لا يشعر مايكل بشيء، قرأها يوسف ثم قال: مبارك يا مايكل، مايكل: هل ستأتي؟ يوسف: بالتأكيد يا صديقي سآتي، ثم التفت إلى روز قائلا: مبارك آنسة روز، لم ترد روز بكلمة، كان صمتها كبركان يغلي بداخلها ليستعد للانفجار بأي لحظة ليحرق كل من في طريقه، أو كإعصار هائج يقتلع القلوب من بين الأضلع، صرخ صوت في عقلها ألا يشعر بأي شعور أو غيرة تجاهي؟، كيف يمكنه أن يتجاهلني هكذا؟، وكأن شيئا لم يكن، كيف يمكنه أن يتعامل معي وكأن شيئا لم يكن؟ استمر ذلك الصوت بتساؤلاته بينما عيناها تسمرتا على يوسف الذي كان يتحدث ويمزح، وما أن جاء كيراس بالنتيجة مخبرا يوسف أنه نجح بكل المواد، حتى ابتسم بفخر واعتزاز الطاووس بنفسه، قائلا

لكيراس: لنذهب ونرى المستشفى الذي أخبرتني عنه البارحة، كيراس: هيا بنا وذهبا، وأسقط يوسف بطاقة الدعوة، وما أن رأتها روز حتى ضربت بقدمها الأرض فالتفت إليها مايكل مستفهما.

ركبا الاثنان سيارته الفارهة بينما أدار يوسف عجلة القيادة منطلقا نحو المستشفى، قال كيراس: لم فعلت ذلك؟، يوسف ببرود: ماذا فعلت؟، كيراس: رميت بطاقة الدعوة، يوسف: لم أرمها ربما وقعت مني، رفع كيراس حاجبيه بدهشة والتزم الصمت، لأنه يعرف تماما شخصية يوسف.

توقف بالسيارة عند المستشفى، وترجلا منها متوجهين إلى الداخل سأل كيراس موظفة الاستقبال التي كانت منشغلة بتدوين بيانات المرضى: عن دكتور سمير صاحب إعلان الوظيفة – كان

مستشفى خاصا فيوسف لا يحب العمل الحكومي -، الموظفة: مكتبه على اليمين، يوسف: شكرا، وذهبا إلى المكتب، طرق كيراس الباب، الدكتور سمير: ادخل، فدلفا نفسيهما إلى الداخل وجلسا أمامه، تطرق دكتور يوسف يتحدث بسلاسة عن إمكانياته وقدراته وخبراته، ومعجزاته، أعجب دكتور سمير قائلا: أنت مقبول عندي ستكون رئيس القسم عندي، وقبل كذلك كيراس، فانصرفا، إلى الخارج وركبا السيارة التي أدارها يوسف منطلقا.

وفي الطريق تطرق كيراس قائلا: يجيب أن نقدم استقالتنا للدكتور فوزي، يوسف: قدمها أنت أما أنا فلا، كيراس عاقدا حاجبيه: كيف ستوفق بين عملين ودراسة؟، يوسف: الرب معي وسيمنحني القوة، فلطالما منحني إياها وحماني.

كان يوسف يحفر في الصخر بكل جبل، كنحات ينقش وجوده في الحياة، أو كفرعون ينقش تاريخه عبر صفحات الزمن، لنقرأها نحن ونرى عظمة ذلك الزمن الذي مضى ولن يعود.

خلال فترة زمنية قصيرة استطاع يوسف أن يكون ثروة صغيرة من العمل هنا وهناك، وكان يأكل الكتب أكلا، فلم يسمح للفشل أن يعرف له طريق، حتى استطاع أن يؤسس شركة للمواد الطبية، كانت صغيرة لكنها تكفيه من دخلها ليعيش حياة كريمة واستطاع أن يشتري شقة صغيرة ليعيش بها، فأثثها بأثاث رائع يليق بمكانة دكتور.

عاش يوسف شبابه كالرحالة، فالرحالة يطوف ويسافر جميع البلدان ليكسب معرفة بينما يوسف يتنقل من عمل لعمل ليكسب خبرة ومالا وتكوين

ثروة صغيرة، تجعله يكون رجلا يفخر به والده، وعائلته، رجلا يفخر به أولاده حين يكبرون.

ولكنه لم ينسَ الحرية التي نادى بها عقله، فكان يرفض الذهاب في الإجـازات إلـى مسقط رأسه المنيا، مجيبا حين يسأل: ألن تزور عائلتك؟، مجيبا: لا لن أذهب إلا حين أمتلك المكانة والنجاح اللذين سيجعلان أهل المنيا يقولون ها قد جاء الدكتور يوسف، ها قد جاء النور الرافع اسم بلدنا إلى العالم ويساعد المرضى ويخفف آلامهم.

ورغم صراع الكفاح الذي عاشه دكتور يوسف، وكأنه بين وحشين الفقر والمجتمع القديم، والغنى والمجتمع الجديد، صراخ يدور برأسه لماذا لا أثق بأي امرأة؟، لماذا أحتقر النساء اللاتي يتقربن مني؟، سؤال أرهقه منذ الصغر، لم لا أشعر بالحب؟، نعم

الحب الذي لم أستطع أن أحصل عليه حتى الآن.

يذهب إلى الإسكندرية في الإجازات ليدلل نفسه، بين أحضان النساء ليقيم علاقات هنا وهنا لا فائدة، لم ولن يجد من تستحق قلبه، يقيم تلك العلاقات ليرضي غروره ونجاحه في كل شيء.

كملك قاهر يمتلك كل مفاتيح الحياة ولا أحد يمتلكه، كنسر جارح يجرح كل من مر أمامه أو كعصفور هارب من شيء يخيفه، وهنا نجد أيضا تناقضا آخر فهو الإنسان الطيب العطوف، والدكتور الرحيم المرهف، الذي يكره أن يرى مريضا يتألم، والرجل القاسي الذي لم تستطع أي امرأة أن تمتلك قلبه.

أسند كفه إلى الحائط وهو ينظر إلى النافذة يفكر بكلام كيراس وعرضه لفتح مركز طبي شراكة بينهما،

– إنه عرض ممتاز جدا ولا يجد ما يجعله يرفض بعد تأسيسه للشركة – فاتصل بكيراس، قائلا: مرحبا كيراس، كيراس: مرحبا يوسف، هل فكرت بالعرض؟، يوسف: نعم أقبل، متى نمضي الشراكة؟ كيراس: إن أردت نذهب الآن، يوسف: نعم أريد ذلك فلم يبقَ على التخرج سوى أيـام، كيراس: أنتظرك.

انطلق الدكتور يوسف بسيارته بعد أن جلس خلف عجلة القيادة، وأدار المفتاح

وانطلق إلى حيث ينتظره كيراس، كان طول الطريق عقله يصرخ: النجاح الذي حلمت به قد تحقق أعطيت الكثير والآن أجني ما حصدت، أفاق يوسف من صراخ عقله، حين وصل إلى حيث ينتظره كيراس مع المحامي وصاحب الشقة، وقرأ كل واحد منهما

العقد وأمضوا العقود باسم الرب الواحد آمين.

افتتح المركز الطبي الذي سمي بمركز الاعتناء بالصحة، وتواكب ذلك مع أخذه شهادة البكالوريوس، ها قد اكتملت الصورة، فقد أصبح دكتورا بمعنى الكلمة، فقد سافر إلى الصعيد الذي غادر منها وهو لا يملك شيئا وعاد إليها وهو مالك كل شيء عاد وهو النور والأمل الذي ولدته الصعيد إلى العالم.

استقبله أهل البلد بترحاب واحترام، كما استقبلوا دكتور عماد قبل سنوات مضت فقد عاد بذاكرته إلى الوراء عندما كان يحلم بهذه المكانة وهذا الفخر، عاد إلى الحاضر سلم عليهم ثم ذهب إلى عائلته. استقبلته عائلته بحفاوة وترحاب كبيرين، وجلس الجميع عاتبه والده قائلا: لم لم تأتي طيلة الأربع

سنوات؟، يوسف : أنا أسف يا أبي لقد أردت أن أعـود وقد حققت حلمي، فقد أصبحت دكتورا كبيرا، وأسست شركة مواد طبية، وفتحت مركزا طبيا شراكة مع صديق لي، واشتريت شقة، لم لا تأتي معي يا أبي؟، جرجس: أنا مثل السمكة لا أستطيع الخروج من منزلي وبلدي، أنت وإخوتك خرجتم يكفيني ذلك، أنا فخور بك بني، ولكن بقى شيء واحـد، يوسف باستفهام: ما هو؟. جرجس: أن تتزوج.

الفصل الثالث

زواجه وشهاداته وسفره

أسند رأسه على الحائط وزفر بضيق، قائلا لنفسه: والدي معه حق، يجب أن أتزوج وأنجب أطفالا يحملون اسمي، يجب أن أبحث عن امرأة تستحق حمل اسمي، تكون من عائلة محترمة، ثم أرخى جفنيه وأسلم روحه للنوم.

اجتمع الثلاثة حول مائدة طعام الغداء، كانت عزيمة الجيران احتفالا بنجاح يوسف، فتطرق أحدهم قائلا: لم لا تفتح عيادة طبية هنا؟، يوسف:

سأستقر في القاهرة، فقد اشتريت شقة وفتحت مركزا طبيا شراكة مع صديقا لي، وسأكمل دراسات عليا، وسأتزوج، جرجس: حقا ما تقول؟، يوسف: نعم يا أبي فأنا أريد أن أنجب أطفالا يحملون اسمي، إليصبرت: هل تريدني أن أجلب لك عروسا، يوسف مقبلا يد والدته: لا فأنا سأختار من تستحق حمل اسمي، جرجس بتنهد: هو يعرف كيف يختار كما اختار كل شيء في حياته.

شعر يوسف بكلام والده وكأنه سهم ينخر قلبه، وصرخ عقله بتساؤلات قائلا: هل والـدي علم بعلاقاتي؟ لا، لا مستحيل، لو علم بعلاقاتي لكان وبخني وجها لوجه، ولكن لم قال ذلـك؟، ظل يسأل ويجيب حتى دخل بدوامة تأنيب الضمير، فراح بذاكرته إلى الوراء، وتذكر كم قلب أحرقه

بغروره، غـرور أناني متغطرس يقهر كل شيء أمامه، لا يعطي أهمية لشيء غير مبالٍ بأي شيء، إلا نفسه، عاد بذاكرته إلى الحاضر وتنهد بنصف صداع أصاب رأسه قائلا: تذكرت موعدا يجب أن أسافر إلى القاهرة، إليصبرت: أنت لم تمكث معنا غير يومين فقط، ابتسم يوسف، بحنو: سأعود لأفرح قلبك، وخرج.

ركب يوسف سيارته، وجلس على المقعد خلف عجلة القيادة، وزفر بضيق، لعب بأنامله على عجلة القيادة، ثم أخذ هاتفه النقال عابثا بشاشته، فاستوقفه اسم كارلوس، فاتصل به، رد كارلوس: مرحبا يوسف كنت على باللي للتو، منذ متى لم نلتقِ؟، يوسف: أهلا بك، أنا في المنيا مسافر حالا إلى القاهرة، هل نلتقي غدا؟، كارلوس: بالطبع سأكون في النادي في

الخامسة عصرا، يوسف: سآتي، وأغلق الخط.

شعر يوسف بارتياح نوعا ما، وأدار عجلة السيارة وانطلق بها مغادرا عروس الصعيد النقية المنيا، متجها إلى معشوقة كل من يعيش فيها ولو للحظة ويشرب من نيلها النقي، القاهرة.

كان جالسا مشعلا سيجارته، واضعا رجلا فوق أخرى، وبجانبه زوجته، رن هاتفه النقال فرد قائلا: مرحبا أين أنت؟، يوسف: أمام البوابة، كارلوس: حسنا سآتي إليك وأغلق الخط، التفت كارلوس إلى زوجته جوليا قائلا: لقد جاء يوسف سأذهب لإحضاره، جوليا: حسنا.

ذهب كارلوس إليه بخطوات ثابتة وسريعة، حتى وصل إلى يوسف الذي كان واقفا مستندا إلى الحائط باستفزاز محبب فصافحه وعادا إلى حيث تجلس

جوليا زوجة كارلوس.

طالبين مشروبات روحانية، أخذهم تبادل أطراف الحديث بمختلف المجالات، حتى تطرقت جوليا قائلا: ألا تنوي الـزواج يا يوسف؟، يوسف: بلى ولكني أبحث عن عروس مناسبة، كارلوس: لدي طلبك، يوسف: حقا؟، أيـن؟، جوليا: سآتي بها حالا، وذهبت، وما هي إلا برهة من الزمن حتى جاءت جوليا بصديقتها مريم.

مريم امرأة ناضجة عاقلة مؤمنة، جميلة، ذات تربية عالية جدا موظفة، تعمل كمدرسة لغات في الثانوية، مرحة الروح، شعر يوسف باطمئنان لها شعر أنها تستحق أن تحمل اسمه، وتكون أم أولاده، لكنه ما زال متمسكا برأيه كالحجر المتمسك بقمة الجبل لن تمتلك قلبه امرأة، ولا توجد امرأة تستحق قلبه.

بينما مريم وقعت في حبه حقيقة، بل عشقته، فهو شخصية جذابة تعشقه النساء، ويعرف كيف يزين كلامه المعسول، كشهد النحل، قابلها عدة مرات ليدرسها حتى تأكد أنها تستحق حمل اسمه وسأل عنها وعن عائلتها كثيرا.

في أحد الصباحات كان في مكتبه، رأسه يدور بأفكار كثيرة، محدثا نفسه: لقد تأكدت من أخلاقها، وتأكدت أنها سوف تصون سمعتي وتحفظ شرفي في غيابي، زفر بقوة ملتقطا هاتفه النقال، عبث بشاشته حتى وصل لاسمها واتصل بها، فردت بمرح: صباح الخير يوسف، جاءها بصوت أجش: صباح الخير، هل يمكنني مقابلتك؟، أريد التحدث معك بأمر مهم، مريم بقلق: ما الأمر؟، لقد أقلقتني، يوسف: لا داعي للقلق، مريم: سأكون في النادي بعد الظهر،

يوسف: حسنا سآتي.

بعد الظهر كانت جالسة على مقعد، ترتشف قهوتها، وتنتظر قدومه بشغف، بينما جاء ذلك الطاووس، يمشي بكبرياء وفخر، وكأنه سيتفضل عليها بكرمه، لديه قدرة على اصطياد فريسته من نظرة عينيه الثاقبة، أخذ مقعدا وجلس أمامها يفصل بينهما طاولة صغيرة، نظرت إليه باهتمام، فقال بسلاسة: أريد أن أتزوجك.

غامت عينا مريم وأشاحت بوجهها إلى الناحية الأخرى مبتسمة، أمهلها بضع

ثوانٍ ثم سألها مباشرة: هل تقبلين بي زوجا لك؟، مريم بهيام: نعم، ارتاح يوسف قائلا: أنا جاهز بكل شيء، حددي لي موعدا مع والداك، حتى آتي أنا وعائلتي، ولم يمهلها فرصة للكلام فنهض بسرعة

قائلا: أنتظر مكالمتك وذهب.

هذا هو دكتور يوسف، ما أن يأخذ غرضه حتى يتعامل بطريقة عملية جدا، فقد ذهب دون أن يجعلها تنطق بكلمة واحدة، بعد أن أخذ منها كلمة موافقة لا يهم أي شيء بعد ذلك.

عادت مريم إلى منزلها، تكاد تطير فرحا، فرأتها والدتها وسألتها: ما بك فرحة كالطير الذي حرر من قفصه؟، مريم وهي تجلس بجانب والدتها: قابلت يوسف اليوم، وطلب مني أن يقابلك أنتِ ووالدي، ليأتي بأهله لخطبتي، الأم بفرح: ليسعدك الرب يا ابنتي، ولتمنحك العذراء بركاتها، حسنا سأخبر والدك بذلك، قبّلت مريم خد والدتها، ودخلت غرفتها مغلقة الباب وراءها، وألقت بجسدها على السرير، تعلق بصرها بالسقف، ثم تقلبت على السرير

متقافزة بجسدها على السرير، ثم نهضت وراحت تحمل زهرية الورد، واشتمت رائحتها، ثم أعادتها إلى مكانها، ونظرت من النافذة إلى السماء.

وفي صباح اليوم التالي على المائدة، تطرقت والدة مريم قائلة لزوجها: لقد جاء لمريم عريس، الأب ببشاشة: من هو؟ الأم: إنه دكتور يوسف، شاب طموح مستقبله ذو شأن عالٍ، وهو جاهز بكل شيء، الأب: حسنا، ليبارك لهما الرب، دعيه يأتي وعائلته الخميس، ثم نهض من على مقعده واضعا فنجان القهوة على الطاولة، وخرج إلى عمله فودعته الأم قائلة: الرب يحميك.

جاءت مريم وقعدت بجانب والدتها، لتتناول طعام الإفطار، فأخبرتها والدتها بموافقة والدها على يوسف وبارك لها، وطلب أن يأتي الخميس، طارت

مريم فرحا مقبلة يد والدتها، وخرجت راكبة باص المدرسة.

في تمام الساعة الواحدة ظهرا، كانت تجلس في مكتب المدرسات بعد أن أكملت حصصها، التقطت هاتفها النقال وعبثت بشاشته، حتى وصلت لاسم يوسف، اتصلت رفع الخط قائلا بصوت قلق: مرحبا، مريم بمرح: لقد وافق والدي على زواجنا، يمكنك أن تأتي الخميس، يوسف بكل فخر وثقة: سآتي وأغلق الخط.

خرج يوسف من المركز الطبي، وركب السيارة جالسا على المقعد خلف عجلة القيادة، وفتح هاتفه النقال عابثا بشاشته، حتى وصل لاسم والده جرجس، فاتصل عليه، الذي رد للوهلة الأولى قائلا: مرحبا بني، يوسف: مرحبا أبي، أريدك أن تجهز أنت

ووالدتي سآتي لأخذكما، إلى القاهرة، سأتزوج، جرجس بفرح: حماك الرب ورعاك يا بني، سأخبر والدتك وأغلق الخط.

أدار يوسف عجلة القيادة منطلقا بسيارته إلى بلدته.

فتحت دولابها لتختار ماذا تلبس يوم خطبتها، فهو يوم مهم تنتظره كل عروس إحساس جميل أن تلقى ما تريده، ما انتظرته منذ سنوات يأتيك جملة واحدة، كم جميل أن يأتي الربيع بعد جمود الشتاء، أن يأتيك الحب حتى لو لم يحبك، والأهم من ذلك أن يأتيك النصيب.

وصل يوسف منزل والديه اللذين استقبلاه بالحفاوة والترحاب، جلس يوسف ليتلذذ بمشاهدة والديه، كما يتلذذ الأب الحنون بفرحة طفله بلعبته الصغيرة.

أخذ يوسف والديه بسيارته منطلقا بهما إلى القاهرة،

كانت المرة الأولى التي يذهبان بها إلى القاهرة، معشوقة كل القلوب، بلد الحضارة والثقافة والرقي، حتى أزقتها البسيطة تجد فيها السلام والأمان.

تجهزت العائلة لاستقبال يوسف وعائلته، كانت مريم مرتبكة قليلا، وهي تساعد والدتها بتحضير العشاء، لنقف هنا قليلا لنجد أنها المرة الأولى والأخيرة التي ينفذ فيها يوسف قراره أو وعده لامرأة، يوسف لا يحب، يوسف تزوج ليكون له أسرة، وأطفال يحملون اسمه فقط، وليغطي على نزواته المستقبلية.

ها قد وصل الطاووس وعائلته، وصل الأمل المنشود النور الذي ترى به مريم العالم، ورن جرس الباب الذي فتحه والد مريم مبتسما للضيوف، فدلفوا وسلمت مريم ووالدتها عليهم، وجلس الجميع في الردهة.

جلس يوسف كملك روما نافشا ريشه رغم تواضعه أمامهم، وبساطة كلامه.

تطرق جرجس قائلا: جئنا لنخطب ابنتك مريم لابني يوسف ببركة الرب الإله آمين، رد والد مريم: ليبارك لهما الرب آمين، فقاطعه يوسف قائلا: أنا جاهز يا عمي لنطلب الإذن من الأب الأقدس ونتزوج، والد مريم: حسنا نذهب غدا، والآن دعونا نحتفل بهذه المناسبة، ونتناول العشاء، الجميع: هيا.

في صباح اليوم التالي، ذهبت كلتا العائلتين إلى الكنيسة، وطلبوا إذن الأب الأقدس للزواج، فبارك لهما وأعطاهما موعدا بعد أسبوع.

كانت الأيام تتطاير كالسهام المتناثرة هنا وهناك، الكل يجهز، الكل يتحرك بأقصى سرعته، حتى جاء الميعاد، لم يكن ميعاد دخول الأرض المقدسة، بل

ميعاد إنزال الستار وتغطية الخطيئة وراءها.

ذهب الجميع إلى الكنيسة، جاء المدعوون، ووقف الأب الأقدس في الأمام الكل منتظر العروسين، اللذين ارتديا الروب الذهبي وسارا وسط الكنيسة حتى وصلا أمام الأب، الذي عمدهما سائلا: يوسف هل تقبل مريم زوجة لك في السراء والضراء؟، يوسف: نعم، الأب: مريم هل تقبلين يوسف زوجا لك في السراء والضراء؟، مريم: أقبل، الأب: ما يجمعه الرب لا يفرقه إنسان باسم الرب والكنيسة أعلنكما زوجا و زوجة.

صفق المدعوون، وألبسا بعضهما خاتم الزواج، وقد حقق انتصارا آخر من انتصاراته، أو هدفا من أهداف دكتور يوسف، وفي المساء كان حفل زفاف رائع، رقصا كالأميرين، وسلم الحضور عليهما وركبا

السيارة منطلقين إلى منزلهما.

وصلا المنزل مريم تشعر بسعادة تغمرها، أما يوسف فلا يشعر بشيء، غير أنه يفترض أن يؤدي واجبه على أكمل وجه فحملها إلى غرفة النوم، ابتسم يوسف في وجه زوجته، وبدأ عقله يصرخ: هذه لك وحدك دون سواك، لم يطأها أحد غيرك، ابتسم يوسف بفخر، واقترب منها، نزع طرحة رأسها بإتقان بارع، واقترب شيئا فشيئا حتى دلف نفسه في حضنها وغاما في بعض.

فتح عينيه، ما زال يشعر أن جسده متجمد، وقلبه متحجر، نظر إليها عارية تماما مغطاة بغطاء حريري ناعم، لكن لا يوجد خطيئة، هذه المرة الأولى التي يفعلها دون خطيئة، دون أن يصارع عقله وضميره بين الاعتراف وعدم الاعتراف، يوسف لا يفقه كلمة

ذنب، ولا يفهم كلمة آسف، لا وجود لهما في كتابه أو رسالته التي ينادي بها عقله.

نهض من السرير، ودلف نفسه إلى الحمام، ترك الماء ينصب على جسده، للحظة لم يشعر بأي شعور، فقط كان يرى أمام عينيه الصليب.

خرج إلى الغرفة وارتدى ملابسه، نهضت مريم إثر ضجة حركته، فتحت عينيها مثبتة نظرها على زوجها عقدت حاجبيها وقالت: إلى أين أنت ذاهب؟، رد بهدوء: إلى العمل، لدي شيء مهم يجب أن أعمله، رفعت مريم حاجبيها بدهشة: ولكن اليوم هو ثاني يوم زفافنا، وسوف يأتون ليباركوا لنا، يوسف مبتسما: قولي أني ذهبت لأحجز لسفر شهر عسل، قذف قبلة في الهواء وخرج.

لم تكن صدمة مريم أنه خرج، لا كانت صدمتها

اكتشافها أنه تزوجها ليمتلك أسرة، ويكون لديه أطفال يحملون اسمه.

تحملت انشغلاته، مريم المرأة التي تحملت أعباء الحياة، فقد امتحنها الله بهذا الرجل فصبرت كصبر أيوب، عبادتها لم تفارقها، ليكافئها الله بحملها الأول ـ الذي تلقت خبره من ذلك الوجه الملائكي روح – دكتورة روح التي رافقتها طوال فترة حملها، كانت كجذع النخلة الـذي استندت إليه عند مخاضها.

استقبل يوسف خبر حمل زوجته، كما يستقبل المؤمن بشراه بالجنة، سيأتي الوليد له ليحمل اسمه، وربما يكمل رسالته من بعده.

فرح يوسف بخبر حمل زوجته، وفي الوقت ذاته قدم رسالة الماجستير، وكما نعلم جميعنا دكتور

يوسف لا يهتد كالجبل صلب شامخ، مهما صادمته عوامل التعرية، يعمل، يدير شركته، يدرس، ويقوم بعمل وجباته الزوجية، هكذا يوسف منحه الرب إمكانيات ونجاحات كثيرة في يده إلا واحدة الكف عن الخطيئة.

جاءها المخاض، لم يكن أمامها سوى والديها والدكتورة روح، تأوهات وصرخات، انقطاع للتنفس دموع تتناثر، ها قد جاء جرجس وإليصبرت، ليعاد التاريخ من جديد، وأخيرا، سمع الجميع صراخ الوليد.

جوزيف، اسمه جوزيف، التفت الجميع إلى الطاووس الذي وقف مستندا على الحائط، فابتسم وتقدم حتى حمل ابنه ورفعه إلى السماء قائلا: لم أكن لأقبل أن تكون أول خليفة لي غير ولد وهو أنت

جوزيف.

كانت بالمنزل تجلس بجانب وليدها، ولم يلقِ لها بجملة حلوة ترفع معنوياتها، قد مرت عشرة أشهر، وهو منشغل بعمله، وإنجازاته ورسالة الماجستير، ونشر أفكاره ليكسب مزيدا من مؤيديه، ومحبيه.

تحملت مريم كل الأعباء، لم يكن يسعدها سوى رؤيـة جوزيف يكبر أمامها، يوسف يخرج في السادسة صباحا، ويأتي في العاشرة مساء، إنه يسيح هنا وهناك، من مركز طبي إلى مستشفى يؤدي رسالته التي تحمل أمانتها، ليبلغها لتلاميذه من الأطباء المبتدئين، ولا ينسى تذليل نفسه بنزوات عابرة، لا يعتبرها خيانة فأفكاره التحررية تعتبرها ترفيها لنفسه.

ها قد أكمل الماجستير، وصار جوزيف بعمر الخامسة، تقدم دكتور يوسف لدراسة الدكتوراه،

واستجابة لرغبة زوجته مريم – مريم التي عانت وصبرت كثيرا على هذا البلاء، مريم التي حباها الله بصفات العفة والعزة والطهارة – قرر أن يستجيب لرغبتها، ففي ليلة شتاء هادئة، أتى يوسف ليكون وطنا لزوجته فدلف نفسه بين أحضانها ليهديها هدية العمر فكما كان جوزيف سندها، كانت ميار حياة بأكملها، رأت فيها الابنة، الصديقة، الأخت، كانت لها سندا وعونا وبئر أسرارها.

مرت أيام وشهور أكمل يوسف الدكتوراه بامتياز، وبدأ سفره إلى أوروبا، ساح وجال، هنا وهناك، أخذ شهادات، وكون علاقات بأكبر الشخصيات سواء أطباء، أو سياسيين، أو نجوم.

كبر ذلك الطاووس، بأفكاره ومعتقداته، حقق الحرية بكل معانيها، جرب المعتقدات، العلاقات،

الشهرة، المجد، شرب الخمور، أكل الخنزير، فعل كل ما يمكن أن يتخيله أو لا يتخيله العقل البشري، مناديا للتحرر الذي لطالما صرخ عقله به.

ولكنه صنع قسيسين من ذهب، أو إلهين من الماس، أو جبلين شامخين، هما نجاحه وسمعته، اشتهر وذاع صيته، ندوات، مقابلات، مؤتمرات، وصل بعلمه وأفكاره إلى كل بقاع الأرض، وزاد محبوه.

رغم هذا النجاح الكبير وفتحه لأكثر من مركز طبي، لم ينسِ المرح مع أطفاله، من طرائفه أنه عاد إلى المنزل، فقال: لقد حدث اليوم..... وجاء اليوم..... فتطرقت ميار قائلة: كيف عرفت كل ذلك وأنت لم تكن موجودا؟ هل وضعت كاميرات في المنزل؟، فقهقه الجميع.

طرفة أخرى أيضا في يوم أصيبت ميار بارتفاع درجة حرارتها، فجاء هو ووجد أن الجل الخافض للحرارة قد نفذ، وبكل بساطة توجه إلى الثلاجة فاتحا بابها وأخرج قطعة من اللحم المجمد ووضعه في منديل ثم وضعه على رأس ابنته.

نجد هنا جانب آخر من شخصية يوسف، خلق شيء للاستفادة باستخدام أبسط الأشياء، ممزوج بالمرح وهو جانب مضيء في حياة الدكتور يوسف.

عاش يوسف حياته، نجده في جميع القداسات، وجميع المناسبات العائلية، ولم تنقطع زياراته عن مسقط رأسه عروس الصعيد المنيا، وزيارة والديه في كل المناسبات وأداء واجبه تجاههما، ورغم ذلك كله لم تلمس قلبه امرأة، فما زال متمسكا أنه لم يجد من تستحق قلبه، رغم مرور سنوات.

في يوم طقسه رائق جميل، كروقان عروس بفستان زهري، تجلس على أغصان القمر الخجول في ليل حزين، في ردهة امتلأت بالنجوم، تنتظر ذلك الفارس النبيل.

كان جالسا على مقعده، ساندا رأسه إلى الخلف، أمامه فنجان من القهوة، لم يأتِ كثير من المرضى اليوم، وعيد الفصح على الأبواب، زفر بقوة، ليس هناك جديد في حياته، وبينما هو يقاوم صراع عقله بين الماضي والحاضر، قرعت السكرتيرة الباب، ودلفت نفسها إلى الداخل، قائلة: هناك حالة في الردهة تريد مقابلتك ولا يوجد موعد مسبق، الدكتور يوسف: أدخليها، خرجت سماح قائلة: تفضلي بالدخول.

أومأت المريضة برأسها قائلة :شكرا، دخلت

بكرسيها ودلفت نفسها إلى مكتبه، جلست أمامه فابتسم بمرح سائلا: ما اسمك؟، أجابت بمرح طفولي: اسمي راحيل.

الفصل الرابع
التقاؤه بالحب

راحيل فتاة بسيطة، طفولية، بريئة، تبتسم بصفاء، هذا ما تظهره أمام الناس، لكنها بحر من الغموض، رأت بحياتها العجب وتحملت كلمات قاسية وصدمات كصخور سقطت على رأسها كأجراس من حديد.

جراح أدمت قلبها كسكاكين حادة، سنت لتدين تلك الفتاة التي تمردت بشخصيتها، فأصبحت تخفي أكثر مما تظهر، أفكار تحررية أيضا مقرونة

بالعناد وعدم الاستسلام، تعشق بوفاء، ولكنها إذا جرحت تهد معابد روما على رؤوس الكهنة.

شخصية جليدية وعذبة، ضعيفة وقوية متهورة جنونية، ولكن إذا قررت الرحيل لن تعود حتى لو اضطرت لقتل قلبها بيدها.

جاءته يائسة من الشفاء، مهزوزة الثقة بالعلاج، أسند ذراعيه على مكتبه وهو يستمع إلى وصف حالتها المرضية، استمع بأذنيه لحديثها، بينما استمع بقلبه وروحه إلى ما يجول بخاطرها، رأى فيها ما يشبع غروره، هي مختلفة عن بقية النساء، إلى جانب ذلك أراد أن يمنحها ذلك الأمل البعيد الذي يرن كناقوس بذاكرة النسيان.

أكملت حديثها، فابتسم وهو مستمتع قائلا: أقسم بالرب سأجعلك تمشين وتعتمدين على نفسك،

لمعت عيناها بفرحة طفل صغير فرحا بلعبته الجديدة، ابتسم هو الآخر كولد لقي لعبته الضالة منذ زمن بعيد.

نهض من مقعده وربت بكفيه على كتفيها قائلا: لنبدأ العلاج، نجد هنا جانب آخر من شخصية الدكتور يوسف، فهو يستمتع بعلاج المريض، يجد متعة في روحه عندما يرى مريضا يتحسن، يسعد بتحسن حالته، كما كان يسعد المسيح بشفاء مرضاه.

لم تكن راحيل ترى يوسف دكتورا فقط، كان كتابها الذي دونت فيه أسرارها كلها عدا جزء بسيط لم تدونه وهو القهر الذي يمكث في أعماق محيط قلبها، لا توصفه كلمات فهو بركان يغلي، لو انفجر لأحرق العالم بأسره.

دلفها إلى غرفة العلاج، وبـدأ خطوة بخطوة معها، كل يوم أملها يزداد، وثقتها به تكبر، كانت رؤيته بشكل يومي سعادة تغمرها، عقلها يصرخ بتساؤلاته: لماذا أكـون سعيدة عندما أراه؟، ما الذي يجذبني إليه؟، لماذا أعشق الحديث معه؟، لماذا أغضب عندما يغيب عن المركز؟، وهنا بدأ صراع قاتل بين قلبها وعقلها، بل صراعان، الأول تساؤلات عقلها وصراخه اللذان لم تلقَ لها إجابة، والتاني صراع الماضي والحاضر، الماضي الذي رمقته بنظره كراهية وتمرد، وتقيأته مرارا فعقلها يرفض الرجوع إلى تلك اللعبة التي جعلتها خارج دائرة الحياة، سئمت أن تكون ضعيفة تحتاج إلى غيرها، والحاضر الذي تعلقت بأفكاره التحررية بتطور الحياة، بحب من عرفتهم، إنها القاهرة لؤلؤة

تلمع في عينيها معشوقتها الأبدية.

راحيل رأت بالدكتور يوسف جانبا آخر لم يره أحد، دكتور يوسف من حبه الشديد لعمله، يقبل أن يقدم العلاج لبسطاء المرضى دون مقابل، لم ترَ في حياتها دكتور يقدم علاجا مجانيا إن لزم الأمر في عيادة خاصة، هنا نجد جانبا إنسانيا يجري في عروق دكتور يوسف، هذا الرجل متناقض في شخصيته، قد أفلح في استفزاز عقل راحيل، بدأت تراقب مواقفه في حياته اليومية.

جلست كالمعتاد تمارس علاجها، بينما هو مستقر في مكتبه يباشر الكشف عن حالة مرضية، ما إن أكمل وخرج المريض، حتى وقف مستندا على حائط الباب يمازحها، وفي الوقت نفسه خرجت السكرتيرة من الحمام الخاص بغرفة العلاج، قائلة:

دكتور يوسف صنبور الماء يحتاج إصلاح، الدكتور يوسف: سأصلحه أنا ودلف نفسه إلى الحمام وأبدل الصنبور، كان منظرا فريدا من نوعه بالنسبة لراحيل، أن ترى دكتورا بشموخ الجبال وعظمتها أن يفعل ذلك، رأت جانب العفوية والتواضع وظل عقلها يستفزها بتساؤلاته.

أي شيء تحتاجه راحيل في العلاج تراه أمامها، لتصل أنها تحلم في منامها بالسيد المسيح يقول لها: هذا سيكون سببا في شفائك، ليصرخ عقلها قائلا: ماذا يخبئ لنا القدر؟، ماذا بعد هذا؟، إلى أين تذهب بنا الحياة في هذه اللعبة؟، صداع نصفي يصيب رأسها، تنهج تتصبب عرقا، لا تريد أن تتعرض لخيبة أمل جديدة، ولكن ما يجعلها تلتفت إليه أنها الآن قادرة على الوقوف بمفردها.

دلف نفسه إلى غرفة المكتب، بعد أن تأكد أن زوجته وأولاده ذهبوا لزيارة بعض الأقارب، جلس على مقعده يحتسي فنجانا من القهوة، التقط هاتفه عابثا بشاشته فتح صفحتها على مواقع التواصل الاجتماعي، وجد منشورات تشمل الديانتين الإسلام والمسيحية، استفز عقله ما رآه، كيف لفتاة مسلمة أن يكون لها نظرة تفهميه للدين المسيحي؟ وكيف تقرأ الإنجيل رغم حبها الشديد لدينها؟، فاكتشف أنه أمام شخصية مماثلة له، في الأفكار التحررية، والتفاخر بالنجاح، إلا أنها لا تشبهه بالمراوغة والكذب واللامبالاة.

صرخ عقله: كيف سمحت لامرأة أن تدنس قلبك؟، لقد أقسمت بالرب أنه لن تكون هناك امرأة تستحق حبك هل نسيت؟، ليجيب هو: لا أعرف

تستهويني تلك الفتاة وتستفزني بتصرفاتها، إنها تتقلب بشخصيتها، لم يكن حبا إنما لعبة ألعبها إما أن أخسر وأما أن أنتصر.

كانت بالنسبة لهما لعبة قررا أن يلعبانها، لأنهما على يقين أنها خارج دائرة الحياة، لم يكن بحسبانهما أنهما سوف يقعا في حفرة من دوامة البحر، ليبتلعهما مثلث برمودا ولن يخرجا من هذه اللعبة حتى ينتهي عمرهما.

دلفا نفسيهما في متاهة من مجموعة مرايا لا لها باب ولا مخرج، كلما أرادا أن يتقدمان يرى كل منهما حقيقة الآخر في مرآة صافية صادقة نقية، لتبدو لهما سوآتهما ليقعا في خطيئة آدم، تلك الخطيئة التي سنظل نحكي عنها في كل الأديان وعلى مر العصور.

نعم وقع في تلك الخطيئة، – كما يقول عنها عقله عندما يصرخ –، نعم وقع بالحب العذري النقي ـ الحب العذري بالنسبة لعقله خطيئة ـ، كانت المرة الأولى التي يقع فيها دكتور يوسف بالحب، ولكنه يريد رأيا آخر يدعمه، من؟، من؟، آه راهول ابن أخته حنا.

التقط هاتفه النقال وعبث بشاشته، حتى وصل لاسم راهـول اتصل به، رد راهـول قائلا: مرحبا خالي، يوسف: أريدك أن تأتي الآن، راهول بقلق: هل حدث شيء؟، يوسف: لا فقط تعال إلى المركز، راهول: حسنا، وأغلق الخط.

خرج راهول من المنزل، وركب سيارته جالسا على المقعد خلف عجلة القيادة، وأدار السيارة وانطلق إلى حيث ينتظره خاله، وصل إلى أمام المركز

وترجل من السيارة، متوجها إلى الداخل ملقيا التحية على سماح، ودلف نفسه إلى مكتب خاله، جالسا أمامه قائلا: ما الأمر؟.

خرجا من مكتبه هو وابن أخته، ووقفا أمام غرفة العلاج التي تتواجد بها راحيل، مدة ثانيتين ثم ذهبا، صرخ عقل راحيل: ماذا تعني هذه الحركة الغريبة؟، دكتور يوسف لا يخطو خطوة في حياته إلا وهو مقتنع أشد الاقتناع بها، فأنا أعرفه منذ سنوات، لم يصمت عبثا عندما قلت له: لا أحد يستحق حبي، لم أجد رجلا يستحق قلبي، فكان دائم النظر في عينيها دون أن يبدي شيئا، حتى جاء يوم طلبت منه أن يعرف لها تكاليف عمليات التخسيس، رفض بشدة قائلا: لا أحد يعرف مصلحتك غيري هذه العملية سوف تضرك ثم أمسك يدها وقبلها، استفزت عقلها تلك

الحركة، كيف لدكتور بعظمته وشموخه ونجاحه وغروره أن يقبِّل يد مريضة؟ ولأنها جريئة، سألته بصراحة: لماذا تقبِّل يدي؟، فأجابها: لأني أحبك، وبدأت اللعبة خارج دائرة الحياة.

أطلقت راحيل ضحكة ممزوجة بالسخرية قائلة: تحبني؟ يوسف بلهفة: وسأتزوجك، رفعت راحيل حاجبيها باندهاش متسائلة: كيف تتزوجني وأنت مسيحي وأنا مسلمة؟، هل نسيت الإسلام يحرم ذلك والمسيحية تمنع تعدد الزوجات؟ يوسف بكل ثقة: سأجد حلا، راحيل بحماس: موافقة.

وافق الاثنان على دخول اللعبة، لم يتوقعا أنهما سوف يقعان في شباك ذلك العنكبوت الضخم، أو سوف يصيبهما سرطان القلب ألا وهو الحب.

أسندت رأسها إلى الخلف بعد أن تربعت على

سريرها، عادت بذاكرتها إلى كلماته، لأني أحبك، سأتزوجك، لا تنكر أنها معجبة بشخصيته، ولكنها لم تتخيل أنها سوف تصل إلى الـزواج، التقطت هاتفها النقال وعبثت بشاشته ، نقرت على صفحته في موقع التواصل الاجتماعي وأرسلت إليه رسالة مفادها:

دكتور هل أنت متأكد أنك سوف تتزوجني؟، كان رده:

راحيل عندما أقرر شيئا لا أحد يمنعني.

ابتسمت راحيل ابتسامة شقت عنان السماء لم تشعر بالسعادة مثل الآن، فقررت أن تسمح للحب أن يشق طريقه إلى قلبها، بينما أقفل الدكتور يوسف صوت عقله الصارخ ليسمح للحب أن يتسلل إلى قلبه، متجاهلا القوانين الكونية التي ستجعله

يجثو على ركبتيه معترفا بالعجز والجبن والتخاذل، ستجعل ذلك الجبل الشامخ ينهار كحديد منصهر، يتألم من غلظة وثاق سلاسل من حديد دون صراخ.

لم يكن يعلم أنه مثلما أفرح قلبها سيبكي عينيها، لم يكن يعلم أن أول ما سيعترض طريقه قبل الأديان القسيسان اللذان صنعهما بيده سمعته ونجاحه، لم يكن يعلم أنهما الجلادان اللذان سيجلدانه، ليركع أمامهما مستسلما رافضا أن يصلبه الحب.

أسند ذراعيه على مكتبه وزفر بقوة قائلا: لابد أن أجد طريقة لأتزوجها، لا أعرف من أين أبدأ؟ وكيف أبدأ؟، ولكني على يقين أني سأتزوجها، وبدأ يبحث هنا وهناك عن طريقة ما تجمعهما سويا.

وفي الوقت ذاته نفذ وعده بالعلاج، فها هي الآن تمشي معتمدة على نفسها، راحيل ودعت الفتاة

العاجزة المتكلة على الآخرين راحيل المحتاجة للآخرين انتهت، تنظر إليه بعينين لامعتين ممتنة لما عمله لها، فهو حقق لها معجزة لم تكن تتوقع أنها ستحقق يوما ما.

حبه في قلبها قد أمسك بوثاق قلبها، كسلطان غازٍ لبلد مثمر بحفنات الذهب، كاحتلال يبحث عما يستنزف خيراته ويأكلها ليترك شعبه عطشانا جائعا في أرض جرداء قاحلة.

ومضت سنة، كلما تسأله متى تأتي إما أن يتهرب من سؤالها وإما تكون إجابته قريبا.

كانت كعادتها في غرفة العلاج عندما دلف نفسه إلى الغرفة قائلا: سأسافر لبنان وأشتري شقة صغيرة تكون لنا، ابتسمت راحيل كطفلة تفرح بلعبتها قائلة: حقا؟، أنت لا تمزح؟، الدكتور يوسف: ومنذ

متى وأنا أمزح بهذه الأمور؟، قالها بكل ثقة وفخر واعتزاز، فابتسمت راحيل بلمعة في عينيها.

سافر دكتور يوسف، إلى بيروت بلد الحرية، والجمال، عشق طبيعتها يسلب روحك بجمالها الذي يسجن عقول البشر وراء قضبان الماس، منذ أن سافر وهي تجلس منتظرة منه أن يكتب لها شيئا لكن دون جدوى، حتى اضطرت هي أن ترسل له رسالة لتسأله ماذا يحدث معه؟، ولكن لو للحائط أذان لأجاب بدلا عنه أنه في الخطيئة.

لم يستطع يوسف أن يكبح جموحه، وعاد لأفكاره التحررية، عاد ليمتلك أي امرأة دون أن تمتلكه، عاد لتدليل نفسه، لم يمنعه الحب العذري من ذلك ولم يغير شخصيته.

انقضى الأسبوع، وعاد يوسف إلى القاهرة، وعاد

إلى عمله الذي يعشقه كعشق شاعر لأبيات قصيدة غزلية، وقف أمامها ابتسمت له ابتسامة صفراء ورمقته بنظرة مريبة قائلة: ماذا فعلت؟، يوسف: أجريت امتحانات الإقامة واشتريت شقة صغيرة، راحيل: حقا؟، إذا لنعلن خطبتنا، تلعثم يوسف قائلا: بالتأكيد سآتي يوم الخميس لخطبتك فأومأت راحيل برأسها مبتسمة.

لتأتي ليلة الخميس تتبختر متفاخرة بجمالها العود، كانت تجلس على سريرها ليلا منتظرة بأن يتصل ليخبر أهلها أنه آتٍ لكنه خيب ظنها كما خاب ظن يعقوب بأولاده، سمعت صوت هاتفها النقال فزت ناهضة لتلقط هاتفها، وقرأت اسمه برسالة فتحتها لتتسع عيناها بصدمة اللعنة الأبدية، فقد كتب حبيبتي لن آتى غدا فأنا سأجري عملية بالقلب.

ضيقت عينيها مدركة أنه إما أنه كذب في حبه لها، أو أنه وقع خلف قضبان الجبن والذل والخذلان فقررت أن تصدقه لتمنحه فرصة، إن استمر في كذبه أقسمت أن تفضحه أمام عينيه لتعريه أمام نفسه ليعرف حقيقة نفسه.

أرسلت له: حماك الله دكتور وشفاك وأدامك لنا بالعمر الطويل، ألقت هاتفها النقال ووضعت وسادتها على وجهها وكتمت نحيب بكائها وتأوهاتها حتى لا يسمعها أحد.

بعد أسبوع عاد دكتور يوسف إلى عمله، رأته بكامل صحته فتأكدت أنه يكذب فقررت أن تكون سجلا تدون جرائمه المرتكبة، لن تفوت تهمة حتى تدونها لتعريه أمام مرآته بعد العشاء الأخير.

انتحلت شخصية امرأة لبنانية، وكانت تحادثه على

أحد مواقع التواصل الاجتماعي فسألته: هل أحببت يوما؟، فأجابها: لم أجد من تستحق قلبي فكانت صدمة أخرى لها.

راحيل لا تستسلم بسهولة أبدا، ولن تفوت جرائمه أبدا تراقبه بصمت كالمخابرات الدولية، كانت مستلقية على السرير في مكتبه، في فصل الشتاء المتجمد كتجمد قلبه، وتجمد مشاعره ادعت أنها نائمة حين رن هاتفه النقال، الذي فتحه ليتكلم فأيقنت أنها امرأة وتأكدت حينما قال: سآتي غدا لأنام معك وأدفئك من برد الشتاء القارص، لم تكن زوجته فهي تعلم كيف يتحدث مع زوجته.

لم يستطع الدكتور يوسف أن يفهم شخصية راحيل، هو يفهم أنها تحبه لكنه لا يعرف أنها تجد فيه نفسها، أنه يمنحها الثقة بالنفس، أنها تنظر إلى

صورته لتبدأ يومها بنشاط، تنظر إلى آخر ظهور له في مواقع التواصل الاجتماعي لمجرد الاطمئنان عليه، يتعامل معها كامرأة ناضجة، تجد فيه شخصية متميزة مرحا، ذكيا، مراوغا، أخذ شهادات كثيرة من روسيا وأوروبا، ووصل لقمة النجاح في عمله، ولكنه لم ينسَ حبه لنفسه، فقد كان يدلل نفسه ويقيم علاقات كثيرة، ليس حبا في الشهوة، والجنس، لا فهو متزوج من امرأة جميلة ذات خلق، وإنما يقوم بعمل علاقات ليثبت لنفسه أنه يستطيع أن يملك قلوب النساء ولا امرأة امتلكت قلبه، كانت راحيل تعرف ذلك ولكنها على أمل أنه سيتغير.

توفى والده وعجزت عن وصف حزنها لأجله، لم يعرف الدكتور يوسف أن راحيل أجهشت ببكاء عندما توفى والده جرجس، رغم أنها لا تعرفه ولم

تقابله ولكنها توجعت لوجع يوسف دون أن تظهر له ذلك حتى لا يقال أنها تتصنع.

كانت دائما ترمقه بنظرات حزن وأسى عليه ومنه، ترحمه في داخلها رغم أنه يثير غضبها كثيرا.

تمر سنوات، ملت اللامبالاة منه عدم رده على رسائلها، تهميشها، سئمت كذبه المستمر، في آخر سفره له إلى أوروبا وعدها أن يأخذ إقامة ليجد عملا ويتزوجها، هي تعلم أن زواجهما مستحيل ولكنها تعشق ذلك الأمل الذي يمنحها إياه حتى لو كان كذبا، في كثير من الأوقات تتمنى لو تستطيع قتله فعليا، أو تكرهه لكن شيئا ما يستوقف راحيل حول الدكتور يوسف، لا تعلم ما هو.

تشعر أنه يحبها وبالوقت ذاته تشعر أنه لا ينظر إليها، إنها لا شيء بالنسبة له،

إنه شخصية غريبة متناقضة تماما، متواضع، ومتكبر، كريم، وبخيل، متسامح ولئيم، آه إنه بخيل بكل معاني البخل ليس بالمال بل بالتعبير عن المشاعر والكتابة، في بعض الأوقات تتمنى أن تلقي بجبل الهملايا على رأسه لأنه يستقبل رسائلها ولا يلقي لها بالا.

صفة اللامبالاة طاغية عليه كما طغى طوفان نوح على الأرض ليغرق من في الأرض جميعا إلا من رحم ربي.

يحب كلامها ضحكاتها، طفولتها البسيطة، ويحب طموحها الجامح.

ولكنه لا يستطيع أن يكون صادقا معها، يخفي شيئا كما يخفي الكهنة أشياء كثيرة حتى إنها حاولت أن تسأله عن آيات معينة في الإنجيل لتعرف ماذا

تعني؟، ولكنها لا تحصل سوى على صمت مطبق للأذان، السكوت وكأنه خلق في عمق بحر ماتت فيه الأحرف متناثرة على أمواجه.

تساؤلاتها تقتله، هل المسيح رسول نبي؟ أم إله؟، لا تجد إلا السكوت، هل هذه آيات الحجاب؟، لماذا دعا المسيح لضرب العبد المخالف أوامر سيده؟، لم يقل المسيح الخنزير حلال لم تلبون دعوة بوليس؟، لا تجد غير صمت.

فقررت أن تواجه جاءت إلى المركز مساء، – فهي تعلم أنه يتأخر إلى السابعة مساء – وصلت إلى المركز ودلفت نفسها إلى مكتبه، – كانت سماح قد غادرت –، ابتسم بحنان حزين، رمقته بحزن قائلة: أحضرت لك العشاء، فرد هو الآخر: لم عذبتي نفسك؟، راحيل: لم لا تدخل الإسلام؟، فرد

قائلا: ولم لا تدخلي الدين المسيحي؟، لترد بهدوء: لسببين أولهما أنه ليس آخر دين، ويحتوي على أشياء طرحت عليك أسئلة حولها فلم أجد إجابة غير صمتك، وثانيهما لن أتزوجك فالدين المسيحي يمنع تعدد الزوجات، لنأكل وشرعا يأكلان بصمت قاتل، لو صرخت حيطان المعابد لأدانت ذلك الصمت.

أكملا العشاء، أسندت ذراعيها على مكتبه قائلة: توب إلى الله، رفع حاجبه بدهشة قائلا: وكيف أتوب؟، ردت ببرود: أن تؤمن بتعاليم المسيح جملة وتفصيلا دون سواه فقط ، بدأت المحاكمة، سردت له كل أخطائه كجلاد يعري ضحيته، أو كمرآة تريه حقيقته لم ترَ سوى حزن يشع من عينيه وتأوهات بالحسرة، أنهت المحاكمة وسألته: متى تتزوجني؟،

أجاب ببرود: لن أتزوجك لأني مسيحي، ومتزوج، ولدي أولاد.

جحظت عيناها مثل كتلة ملتهبة من نار جهنم، لو سقطت على ذرع من فولاذ لأذابته وحولته إلى حمم بركانية متدفقة تحرق كل من يمر أمامها.

تحولت إلى وحش كاسر، أو ذئب منسعر لتقذفه بأبشع الكلمات، ليتلقاها هو كطبول حرب تقرع قلبه فيصمت، ليحترق كشمعة أضيئت لتنير وجه العذراء.

خرجت راحيل وغابت كغياب شمس الشتاء، ليبحث العراة عن نار حب مشتعلة لتدفئ أجسادهم المحملة بالخطيئة.

مر وقت طويل لم يسمع عنها شيئا، اشتاق لمرحها وجنونها، اشتاق لطفولتها التي تتناثر حوله، لا ينكر

أنها الفتاة الوحيدة التي أدمعت عيناه لأجلها.

لا ينكر أنها جعلته يندم في داخله، فهو من سابع المستحيلات أن يضعف أمـام الناس، أو يعتذر، دكتور يوسف لا يفهم كلمة آسف أبدا، علمها كيف تكون مثله قاسية متجمدة المشاعر، لا تبالي لشيء، نسخة طبق الأصل منه، لقد تحولت إلى امرأة في جليد العمر.

بعد ما تركته وخرجت، ظل يفكر بما قالته له: أنت خدعتني، دائما توعد وتخلف وعودك، أنت شخص غير موثوق به، أنت لم ولن تحبني، فقط عرضت عليَّ الزواج بدافع الشفقة كم أحتقرك وخرجت.

جلس على مقعده أمام مكتبه، وأسند ذراعيه على المكتب، وزفر بقوة ثم أسند رأسه إلى المقعد مناديا سكرتيرته: سماح أريـد فنجان القهوة، سماح:

حاضر دكتور، ثم عاد إلى ذكرياته معها كان هذا الموقف منذ شهرين.

تبسم في سره قائلا: إنها مصيبتي التي أهداني إياها القدر، لا أعرف، فأنا أعشقها

وأعرف أنها لا تتنفس بدوني، تشعر باختناق عندما لا تراني، كما أشعر أنا باختناق عندما أمكث في منزلي.

قرعت سماح الباب ودلفت نفسها إلى الداخل وقدمت له القهوة قائلة: تفضل دكتور، الدكتور يوسف: هل جاءت مدام رجاء اليوم لعمل جلسة العلاج الطبيعي؟، سماح: نعم لقد جاءت وجاء أبونا أيضا أجلسته على الجهاز نصف ساعة على ألم ظهره، دكتور يوسف: جيد، يمكنك أن تذهبي فقد تأخر الوقت، سماح: حسنا، وخرجت عائدة إلى

المنزل بعد أن لملمت أشياءها المبعثرة.

عاد بذاكرته إلى راحيل فهي، على رغم من أنها تحبه، وترى في عينيه ذلك الحب عندما تصرخ فيه، وتعنفه كثيرا بأقسى الكلمات، وهو يتجاوز عنها ويسامحها، إلا أنها تكره الغموض الذي يخرس لسانه، تكره تكبره رغم أنه متواضع في التعامل مع الناس، إلا أنه لا يقبل عزيمة أحد، ولا يخرج مع أحد أيا كان في الأماكن العامة، لديه هوس الخوف على سمعته.

نعم يخاف على سمعته حد التقديس، وكأنها ترانيم مقدسة من إنجيل لوقا تتلى بعيد الفصح.

فهو مسيحي مؤمن، ولكنه موحد، لديها شعور دائم أنه يخفي عنها شيئا ما، شيء تنتظر أن يقرع بابها كما تقرع أجراس الكنائس،

زوجته مريم تعشقه بجنون، امرأة ناضجة مؤمنة، تحملت على عاتقها مسئولية أعباء المنزل وتربية الأولاد ووجباتها اتجاهه، ولكنه مهمل لها يتظاهر أنه يهتم بها وبأولاده يخرجون سويا بكل المناسبات، والرحلات إلا أنه غائب عنهم حتى بصورهم العائلية تشعر أنه بعيد عنهم.

أو ربما راحيل كانت تشعر بذلك، لديه طفلان جوزيف، وميار.

عاد إلى واقعه ما زال رافضا أن يتركها لكنه عاجز عن الحراك، لا يتحرك خطوة واحـدة، متجمدا كتجمد الجليد في شريان نهر جارٍ.

نظر إلى ساعة يده قائلا: يجب أن أذهب الآن فغدا أسافر فجرا، وعيد الفطر على الأبواب، لملم أشياءه وذهب أقفل العيادة وركب سيارته الفارهة

جالسا على المقعد خلف عجلة القيادة، وانطلق إلى المنزل.

كانت الساعة العاشرة مساء حين كانت مريم تقوم بتوضيب حقيبة سفر زوجها يوسف، – الذي أهملها كثيرا في السنوات الأخيرة لكثرة انشغالاته، لم تدرِ بالوقت إلا وهو أمامها يسألها: هل نام الأولاد؟، مريم: نعم، هل أحضر لك العشاء؟، الدكتور يوسف: لا لقد تناولت وجبة خفيفة في العيادة، سآخذ حماما ساخنا وأنام، مريم وهي تشعر بحزن داخلي: حسنا.

أدلف نفسه داخل الحمام وترك الماء الساخن ينصب على جسده لعله يمحوها من ذاكرته، لا يزال رأسه يدور حول عمله، وحرية السفر دون قيود، خرج واستلقى على سريره ونام.

مر الليل معاتبا يوسف على جموده، ليس له عزيز أو

غالٍ، سوى اثنين عمله وسمعته اللذين كدح كدحا حتى يصنعهما وكأنهما قديسان في كنيسة روما الإيطالية.

مر الوقت ورن المنبه، استيقظ الدكتور يوسف هو وزوجته مريم اغتسل وارتدى بدلة رمادية اللون بربطة عنق سوداء، احتسى قهوته، أخذ حقيبته وقبَّل طفليه وخرج.

استقل سيارة أجرة وركب بها منطلقا إلى المطار، وما هي إلا ساعة حتى توقفت السيارة أمام المطار، ترجل من السيارة بعد أن دفع الأجرة، ودخل المطار تقدم لعمل الإجراءات المطلوبة وجلس على أحد المقاعد في ردهة الانتظار.

بضع دقائق، جاءت الطائرة، نظر إليها قائلا: الرب يسعدني دائما آمين، ابتسامة ارتسمت على قلبه قبل

شفتيه وهو يضع رجله على أول سلم الطائرة، جلس في مقعده المخصص، وأقلعت الطائرة بعد أن جلس الركاب في مقاعدهم.

مر الوقت وهو يفكر في أشياء كثيرة مبعثرة، كبعثرة أوراق الخريف عند تساقطها على الأرض، إلا ورقة وحيدة حزينة لم يفكر بها هي راحيل.

وصلت الطائرة مطار نيويورك مدينة الحرية وتحرر من القيود، القيود الدينية، أو الفكرية، أو الروحية، أو الأخلاقية، كان ذلك يوم عيد الفطر.

استلم حقيبته وخرج من المطار مستقلا سيارة أجرة التي انطلقت به إلى الفندق، وفي الطريق أخذ يتأمل الأبراج الشاهقة، وتمثال الحرية الذي يشبهه تماما، الشوارع الواسعة، كل شيء يدل على المدنية والتطور والتقدم.

راح يحاكي نفسه انتصرت على الفقر، والجهل، والتخلف العقائدي توقفت السيارة أمام الفندق المطلوب، ترجل دكتور يوسف بعد أن دفع الأجرة، وانطلقت السيارة في سبيلها، ودخل دكتور يوسف إلى الفندق متوجها نحو الاستقبال قائلا للموظف: هناك غرفة محجوزة باسم دكتور يوسف؟، الموظف: نعم سيدي وأعطاه المفتاح، آمرا النادل أن يأخذ حقيبته، فرافقه النادل إلى الغرفة، وانصرف بعد أن شكره دكتور يوسف الذي استلقى على السرير غارقا في جنون التطور وشهوة الارتقاء حتى نام.

وفي المساء في تمام العاشرة كان الدكتور يوسف استقر في بار الفندق، – بعد أن أخذ جولة سريعة وخجولة في شوارع نيويورك –، يحتسي مشروبه المفضل ويشاهد الحسناء الشقراء التي ترقص

كشيطان يغويك في بحر العطش ولكنه للأسف دكتور يوسف بصلابة الجليد.

رن هاتفه برسالة نصية مفادها:

عيد فطر سعيد دكتوري الغالي راحيل.

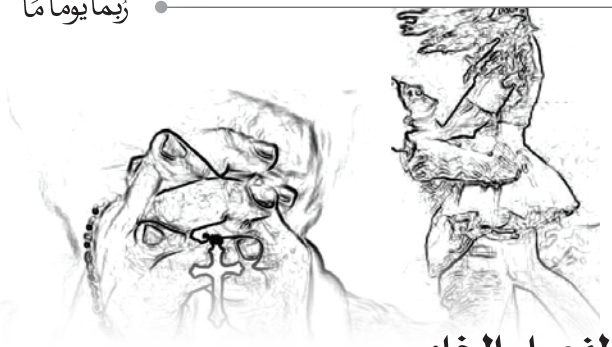

الفصل الخامس

العائق الكبير وتمسكه بالإجابة ربما يوما ما

لم يكن الهلال والصليب عدوين في أي زمان، فكلا الديانتين دعت للسلام، والمساواة لأنهما من نور السموات والأرض، ورب العالمين لا يتناقض مع نفسه، نحن من وضع القوانين، نحن البشر من وضع بصماته بكلتا الديانتين.

أسند ذراعيه على طاولة البار، وهو يطالع شاشه هاتفه النقال، قائلا: راحيل عادت لحياتي؟، بعث لها رسالة مفادها: أهلا بك راحيل، كيف حالك؟،

ردت هي: بخير سافرت شرم إنها جميلة، وأنت ماذا فعلت؟، رد هو: أنا في نيويورك، سأحاول أن أجد عملا أو إقامة، ردت هي: أنا أحببت أن أعيد عليك فقط، تصبح على خير.

لم يرد دكتور يوسف بكلمة بل ظل يفكر قليلا لماذا عادت راحيل؟، ثم أكمل سهرته، جلست راحيل متكومة على سريرها، متحدية نفسها مقسمة أنها لن تتركه، وأنها ستبقى بحياته، وأنه يجب أن يلقى حلا.

رغم معرفتها أنه هناك عائق كبير بل سد وجبل عالٍ بينهما، إلا أنها قررت أن تمنحه فرصة أخرى، حبها منعها أن تكرهه أو تتركه، راحيل أرادت أن تخترق القوانين الدينية والكونية، هي لا تتعب بسهولة ولا تستلم ولكنها لا تظهر ذلك لديها قدرة على الصبر والتحمل لتنال ما تريده ولو بعد حين.

فتح باب غرفته، ودلف نفسه إلى الداخل، جلس على سريره وأسند رأسه إلى الحائط، زفر بقوة مغمضا عينيه، صرخ عقله قائلا: أنا أعترف أني أحبها وأنها من استحقت حبك، ولكنك أمام عائق كبير، لا يمكنك الخروج منه، فرد هو لعقله: ولكنها أعطتني مخرجا واحدا، صرخ عقله قائلا: هل تستطيع الخروج من هذا الطريق؟، رد هو: لا، لا أستطيع، ولكني وعدتها كنت أظن أني أستطيع دمج السور مع الأناجيل والرسائل، لأكون أسرة من الآيات والإصحاحات، ولكني فشلت بل عجزت أن أجمع الهلال والصليب على قبة واحدة.

فتح عينيه بإجهاد وهو يتصبب عرقا وكأنه يلهث بصحراء جرداء قاحلة أصابها وابل فأصبحت كالصريم، أحس بصداع يشق رأسه نصفين فأخذ

مسكنا ونام ليستقبل يوما جديدا في حياته.

هكذا نجد الشيخ والراهب هذا يحلل وهذا يحرم، وكل من منبره يفتي متناسين أن كلا من الكتابين أنزل من إله واحد رب العالمين نور السموات والأرض وما بينهما، وأنه هو أرحم الراحمين.

استيقظ من نومه ودلف نفسه إلى الحمام وهو مرهق التفكير، ترك الماء ينصب على جسده، واغتسل، خرج وارتدى ملابسه ثم توجه إلى المطعم ليتناول طعام الإفطار.

بعد أن أكمل تناول فطوره ذهب إلى مستشفى صديقه جورج، وبدأ يستطلع الأجهزة الحديثة وكل ما هو جديد في مجال العلاج، دخل دورات واشترى أجهزة التجميل، مر الأسبوع بسرعة سهم أصاب قلب عاشق فأوداه قتيلا ينزف بجرحه، ليزحف إلى

قبر فتاة حسناء ليغازلها كما غازل امرؤ القيس جارته المدفونة قائلا:

أجارتنا إن المزار قريب
إني مقيم هنا ما أقام عسيب

أجارتنا أن الخطوب تنوب
إني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان ها هنا
وكل غريب للغريب نسيب

فإن تصلينا فالقرابة بيننا
وأن تصرمينا فالغريب غريب

أجارتنا ما فات ليس يؤوب
وما هو آت في الزمان قريب

وليس غريبا من تناءت دياره
ولكن من وارى التراب غريب

ليموت قتيل ذلك الحب خلف قضبان القوانين

الكونية، ويكون ضحية لاعتقادات خاطئة تجعلنا نقف في مفترق الطرق، وكأننا أعـداء نتقاتل في معركة أزلية لا نهاية لها معركة الحلال والحرام لن تنتهي إلا بانتهاء هذا العالـم.

عاد دكتور يوسف إلى مصر، وعاد إلى عمله، بعد أسبوع كان جالسا على مقعده في غرفة مكتبه يدون بعض التقارير، عندما دلفت راحيل نفسها إلى داخل مكتبه لتفاجئه فجلست أمامه، وضع راحة يده على خده وابتسم بحنان قائلا: أنت مجنونة، فضحكت قائلة: متى نتزوج؟، أم تريدني أن أسافر إلى بلدي؟، فرد هو بحماس: سنتزوج، رفعت راحيل حاجبيها باندهاش قائلة: حقا؟، متى؟ صمت دكتور يوسف كعادته ضحكت راحيل قائلة: دعنا نبدأ علاج التخسيس، دكتور يوسف: حسنا.

تحب فيه أنه يحب أن يلعب معها فمن نوادرهما أنها طلبت منه أن يحملها على ظهره مراهنة أنه عجوز، إلا أنه استطاع أن يحملها على ظهره رغم أنها بدينة قائلا: أما زلت عجوزا في نظرك فقهقهت عاليا قائلة: لا، ثم أضافت كم أحب

خدودك إنها تشبه خدود الأطفال السمينة فيضحكا عاليا.

ظلا على أمل أن يلقيا حلا يجمع بين كتابين مقدسين لا يقل أحدهما عن الآخر، في القيمة، ولكن كانا يجدا عند كل عتبة باب شيخ وراهب، يحللان ويحرمان، وهما في سفينة تاهت بين طوفان المعتقدات والأفكار، التي تصدت لأفكارهما التحررية، فاتجها في طريقين مختلفين رغم وجودهما في حياة بعض.

كبر دكتور يوسف في مكانته، وعلا شأنه ذلك الطاووس الصغير الذي جاء من حياة الريف، دلف نفسه في المجتمع المتطور واستطاع أن يحقق ما تمناه في حياته، واستطاع أن يفرض أفكاره وشخصيته على كل من حوله، فأحبوه كما هو، فحب راحيل غيَّر قلبه ولم يغير شخصيته أبدا فظل كما هو الدكتور يوسف غير مبالٍ لشيء، الذي يدلل نفسه كثيرا، يقرأ رسائلها دون أن يرد بكلمه واحدة.

كبرت راحيل وأصبحت محط أنظار لمعجبين كثر، تعودت على عدم اهتمامه بها، بل أصبحت مثله تماما، لا تهتم إلا بعملها الذي نجحت به كثيرا جدا، يأتون إليها العرسان فترفض على طول دون إخبار أهلها، لها عالمها الخاص ربما النجاح

والشهرة أخذوها من شخصيتها الحقيقية، أو ربما اليأس من الحصول على السعادة غيَّر شخصيتها، أو ربما ظروفها الصحية.

هما الاثنان غامضان لا أحد يعرف ماذا يخبئان؟، أو ماذا يريدان؟، كل ما هو معروف أن دكتور يوسف متمسك براحيل لا يريدها أن تعود إلى بلادها لا يريدها أن تتركه، ولكنه عاجزا تماما عن التحرك عن نقطة المنطقة الحصينة التي وقع فيها دون رجوع، وراحيل رغم كل شيء لا ترى في أي رجل ما تراه في الدكتور يوسف.

وزاد الوضع سوءا إنتشار وباء كورونا الذي غيَّر مسارهما بل مسار العالم كله

يفترقان ويلتقيان تبعدهما انشغالات الحياة وتجمعهما جلسة علاج، هنا نطرح تساؤلاتنا:

هل يمكن أن يجتمع الكتابان معا؟
هل ممكن أن تدمج السور مع الأناجيل والرسائل؟
هل ممكن تكوين أسرة من الآيات والإصحاحات؟
هل ممكن جمع الهلال والصليب على قبة واحدة؟

لتكون الإجابة: نعم في التعامل والتعايش المجتمعي فقط أما الزواج لا

هنا نجد إجابتين متضادتين لنفس الأسئلة ونتوه بين الإجابتين حائرين من هذا القدر الغريب.

في آخر لقاء بينهما كان الود والرواقان يجمعهما، تغيرا كثيرا عن بعضهما ولكن كل منهما محتفظ بذكرياته للزمن القادم رغم أن اليأس ملأ قلبهما إلا أنه عندما كان جالسا على مقعده يحتسي قهوته مستمتعا بحديثها معه ساندا رأسه إلى المقعد مبتسما، وهي أمامه على

الجهاز تثرثر بمختلف المواضيع وهو محرك كرسيه يمينا وشمالا.

تطرقت راحيل فجأة متسائلة: دكتور يوسف متى سوف نتزوج؟، ابتسم دكتور يوسف باستمتاع وقال: ربما يوما ما

تمت

خاتمة

رواية ربما يوما ما، هي رواية حقيقية لشخصية عامة من عروس الصعيد (المنيا) لم أحصل من بطلها على معلومات أو تفاصيل كافية فنسجت ما قاله لي من معلومات بسيطة مع ما أنتجه خيالي لتخرج لكم بهذه الصورة.

هذه الرواية هي أول رواية اجتماعية أكتبها، ناقشت فيها قضية دينية معقدة، وهي تحريم الزواج بين ديانتين مختلفتين.

لم تكتمل نهاية هذه القصة، ولست أعلم متى ستكتمل، أو ربما لن تكتمل، ولكني أعدكم إن اكتملت نهايتها سأكتبها في جزء ثانٍ، ولكن لا تسألوني متى لأني سأجيب ربما يوما ما.

هناك مواقف وأحداث غير واقعية ولا علاقة لها بالشخصية، أحببت أن أضيفها لأعطي نكهة خاصة وأجواء صاخبة للرواية.

عدد الشخصيات في هذه الرواية قليل جدا لأني فعلا لم أحصل من بطل هذه الرواية سوى على رؤوس أقلام تاركا إياي أتخبط لأحيك خيوطها لتخرج لكم بهذه الصورة الرقيقة.

هذه الرواية الإنسانية الاجتماعية الدينية، عنت لي الكثير في مشاعرها ومواقفها، وتعبت في كتابتها كثيرا.

أتمنى حقا أن تكون قد حازت على إعجابكم.

المؤلفة.

سيرة ذاتية

– سارة عادل محمود

– بكالوريوس آداب إنجليزي

– يمنية مقيمة بمصر

– كاتبة وقاصة وروائية

– بدأت الكتابة في سن الثانية عشرة

– نشرت أعمالي بشكل أسبوعي في صحيفة 14 أكتوبر في مسقط رأسي عدن

– بدأت بكتابة قصص الأطفال والخواطر ثم تطورت إلى القصص القصيرة للكبار ثم الروايات

– لديَّ أربع مجموعات قصصية للأطفال

– لديَّ خمس روايات

– لديَّ ثلاث مجموعات من الخواطر

– لديَّ مجموعة قصصية للكبار

– انضممت لأكثر من منتدى منها

منتديات عراقية والذي شاركت فيه بمجلد كتبه نخبة من الكُتَّاب

– فكانت مشاركتي بشعر صغير اسمه قصيدتي ليس لها عنوان أهديتها لبغداد فكانت المرة الوحيدة التي كتبت بها شعرا

– موقع القصة العربية

– منتدى حكاوينا الأدبية

– منتدى شبكة روايتي الثقافية الذي عملت فيه الكثير من الأعمال فكنت مؤسسة قسم الصحيفة الأدبية

– مؤسسة قسم الدواوين المصممة المكتملة

– مؤسسة قسم الفعاليات الأدبية

– أجريت عدة مقابلات صحفية إلكترونية في قسم دائرة الضوء في المنتدى الأدبي فكان من نصيبي أن أجري مقابلات مع الشاعر السعودي عناد الحصيني والشاعر البحريني علي الشرقاوي والشاعر العراقي عباس المالكي والأديبة والقاصة المصرية روان عبد الكريم والقاصة الأديبة اليمنية فاطمة البار

والشاعر والأديب المصري محمد حمدي غانم والأديبة القاصة والروائية اللبنانية د\ إيمان بقاعي والشاعر والكاتب عماد سالم والكاتب والمخرج عاطف سنارة

إصداراتي

الروايات

– أنا لم أقتله ولكن الحب الذي قتله

– فتاة القبور

– ربما يوما ما

قصص الأطفال

– مجموعة قصصية زائل الظل وقصص أخرى

– مجموعة قصصية يوميات الزهور وحكايات أخرى

قصص الشباب والمراهقين

مجموعة قصصية ورحلت مع أوراق الخريف ومشاركة بأربع خواطر في مجلة نبض المبدعين العرب الجزء الثالث

الفهرس

الإهداء	3
تنويه	4
مقدمة	6
الفصل الأول	
ولادته ونشأته	19
الفصل الثاني	
شبابه ودخوله الجامعة	39
الفصل الثالث	
زواجه وشهاداته وسفره	57
الفصل الرابع	
التقاؤه بالحب	83
الفصل الخامس	
العائق الكبير وتمسكه بالإجابة ربما يوما ما	117
الخاتمة	129
الفهرس	134